من المسرح العالمي

٥

من الأعمال المختارة

جبريل مارسل

طريق القمة

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مراجعة : محمد اسماعيل محمد





دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والإعلام

العراق - بغداد - اعظمية ص.ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هـ - ٤٤٣٦٠٤٤

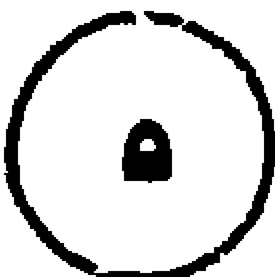


طباعة ونشر
دار الشؤون الثقافية العامة. آفاق عربية

تعنون جميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنوان :
العراق - بغداد أعظمية
ص . ب ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣٥ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

من المسرح العالمي



من الأعمال المختارة

جبريل مارسل

طريق القمة

ترجمة وتقديم : فؤاد كامل

مراجعة : محمد اسماعيل محمد

مقدمة بقلم المترجم

لمسرحية "طريق القمة"

تقول الاسطورة اليونانية القديمة ان « اريان » (أو اريادنا) ابنة الملك « مينوس » ملك كريت وقعت في غرام الامير « تسيوس » ابن ملك أثينا ، وذلك حين وصل الى جزيرة كريت في محاولة لتخليص مواطنيه الاثينيين من الجزية التى أرغموا على دفعها لمينوس . وكانت هذه الجزية تتألف من ارسال سبعة من الشبان ، وسبع من الفتيات كل عام ليلتهمهم « المينوتور » ، وهو مسخ له جسد عجل ورأس انسان ، مفرط في القوة والشراسة ، ومقيم في متاهة أنشأها دايدالوس بطريقة خفية ماكرة ، حتى انه لم يكن في استطاعة من يدخلها أن يجد طريقه الى الخارج دون أن يعاونه أحد .

وأمدت آريان تسيوس بسيف يقاتل به المينوتور ، وبخيط يستدل به على طريق الخروج من المتاهة ، فحالفه التوفيق ، اذ قتل المينوتور ، وفر من المتاهة ، وأخذ آريان رفيقة لطريقه ، وأبحر ميمما شطر أثينا ، ولكنه توقف عند جزيرة « نكسوس » ، وترك آريان نائمة ، وواصل رحلته الى آثينا بدونها ، وحين وجدت آريان نفسها مهجورة استسلمت للأحزان ، غير أن الآلهة رثت لحالتها وواستها ، ووعدتها بحبيب خالد بشرى بدلا من الحبيب الفانى الذى فقدته .

وكانت الجزيرة التى تركت آريان بها هى جزيرة باخوس ــ اله الخمر والنشوة الصوفية ــ الذى اتخذ آريان زوجة له . وكهدية للزفاف ، خلع عليها تاجا ذهبيا مرصعا بالجواهر ، وعندما ماتت أخذ تاجها وألقى به فى الجو ، وحين صعد فى الجو تلألأت جواهره وتحولت الى نجوم ، مع احتفاظه بشكله ، واستقر تاج آريان ثابتا فى السماء كمجموعة من النجوم بين هرقل الجاثى والرجل الممسك بالثعبان (١) .

والى هذه الأسطورة يشير جبرييل مارسل حين أطلق على الشخصية الرئيسية فى مسرحيته « طريق القمة » اسم « آريان » . وربما كانت هذه الشخصية من اشد الشخصيات تعقيدا وغرابة وجاذبية في مسرح « مارسل » على الاطلاق .

---

(١) راجع كتاب « عصر الأساطير » تأليف توماس بلفنسن وترجمة السيس ــ مكتبة النهضة العربية ــ القاهرة ١٩٦٦ م « ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ــ ٢٣٩ ــ ٢٤٠ »

ارتبطت « آريان » منذ طفولتها « بجيروم ليبريير » نتيجة لصداقة متينة توثقت عراها بين العائلتين . وحين أنهى « جيروم » تعليمه في اكسفورد ـ حيث عانى تجارب عاطفية أليمة كان لها اثرها على حياته المقبلة ـ تزوج آريان . بيد أن حياتهما الزوجية لم تلبث ان منيت بالاخفاق بسبب تلك التجارب التى لا نعلم من أمرها شيئا بالتفصيل . واصيبت آريان على اثر هذه الصدمة بمرض عضال كان يرغمها على البقاء معظم العام في مصحة على الجبل . وبفضل هذا المرض ـ الذى لا نعرف من أمره شيئا ـ اكتشفت نفسها ، وتسامت الى آفاق غير عادية ، واصبحت وكأنها تعيش في عالم آخر غير عالم البشر ، ولم يكن من اليسير عليها أن تتخلى عن ذلك المرض الذى فتح لها أبواب هذا العالم العجيب ، أو بالأحرى من المناخ الذى احاطها به ذلك المرض ، كما لم يكن من اليسير على كل من يقترب منها أن يفلت من نطاق جاذبيتها وفتنتها الروحية الطاغية .

وتعلق زوجها بسبب غيابها الطويل في الجبل ـ بعازفة كمان موهوبة هي « فيوليت مازارج » .. بيد أن هذا التعلق لم يكن في قوة الرباط الذى يربطه بآريان . فهو في أزمة ضمير دائمة ، تلح عليه للاعتراف الى زوجته بتلك العلاقة .

وتعلم « آريان » بما بين زوجها وفيوليت من صلة ، ويتأكد هذا العلم بخطاب غفل من التوقيع تظن كل من فيوليت وآريان أن « فرناند » شقيقة فيوليت هى مرسلته ، ولكن يتضح لنا فيما بعد أن كاتبه هو « سرج فرنشار » عشيق فيوليت السابق الذى انجبت منه ابنتها « مونيك » .

وحين تلتقى آريان بفيوليت تفاجئها بأنها تعلم كل شيء ، وبدلا من أن تطلب اليها الانفصال عن زوجها ، تبارك هذه العلاقة على أساس أن «جيروم» يجد فيها سعادته التى لم تستطع هى أن تمنحها اياه على الرغم من كلّ حبها له ، بل تستخلص من فيوليت وعدا بألا تكشف لجيروم عن معرفتها بهذه العلاقة . وتعطى « فيوليت » هذا الوعد وهى في أشد حالات الذهول من موقف « آريان » العجيب ، غير أن هذه الاخيرة تفتح قلبها تماما لفيوليت التى تميل اليها ميلا شديدا يكاد يكون حبا جارفا .

وتمضي المسرحية من اعتراف الى اعتراف : اعتراف آريان بالرابطة الغريبة التى تربطها بجيروم ، واعتراف «سرج فرنشار» بأنه هو الذى أرسل ذلك الخطاب الغفل من التوقيع واعترافه بأنه ما زال على حبه لفيوليت .

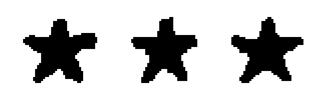
وحين يقرر جيروم ـ في مشهد عميق من مشاهد الرواية ـ أن يعترف لزوجته بكل شيء ، وان يطلب منها الطلاق ليتزوج من فيوليت ، ترفض فيوليت هذا العرض بسبب تلك العلاقة الجديدة التى نشأت بينها وبين آريان . وبهذا الرفض يتصالح جيروم مع ضميره ، ويعود الى الحياة مع زوجته مرة واحدة والى الأبد ،

على حين تستسلم « ڤيوليت » لاغراء أحد الأثرياء هو « باسيني » الذى يعدها بالمجد والشهرة ، وتطلب من آريان أن تصلى من اجلها ، وبالأخص من اجل الصغيرة مونيك ابنتها ، وذلك كله بعد مواجهة تعد ذروة المسرحية بين الشخصيات الثلاث : ڤيوليت وچيروم آريان

وتنتهى المسرحية ونحن نتساءل : هل « آريان » هى « ملاك الخير » أو « روح الشر » ؟ وهذا التساؤل نفسه هو ما تعبر عنه « ڤيوليت » حين تقول لآريان :

« ... أتنتمين فعلا الى عالم غريب عنا ؟ الملك تبصرين بنور يتألق لا نستطيع تمييزه بعد ؟ قولى : ألك علينا نحن الآخرين ذلك الامتياز غير المفهوم الذى لم أصل الى أن أحسده ؟ أنا لا أعتقد ذلك ، ولا أستطيع الاعتقاد فيه ، ألا يوجد في هذا التسليم ، في هذا الجلال الزائف ، وهذه الرزانة الزائفة خليط لا أجد له اسما، خداع من نوع ما ، دجل لا ارادى ؟ أتعرفينه فحسب ؟ حتى لو استطعنا ارغامك على البوح بأشد أفكارك استسرارا ، أيكون ذلك هو الحقيقة ؟ أمن الممكن أن أعرف الحقيقة أخيرا ؟ » .

وهذه الحقية لن تعرفها ڤيوليت ، ولن نعرفها نحن أبدا . واذا كان من الممكن أن توصف هذه المسرحية بشيء فهو أنها خير شاهد على ما يكتنف العلاقات الانسانية من لبس عميق ، وغموض شديد .



طريق القمة

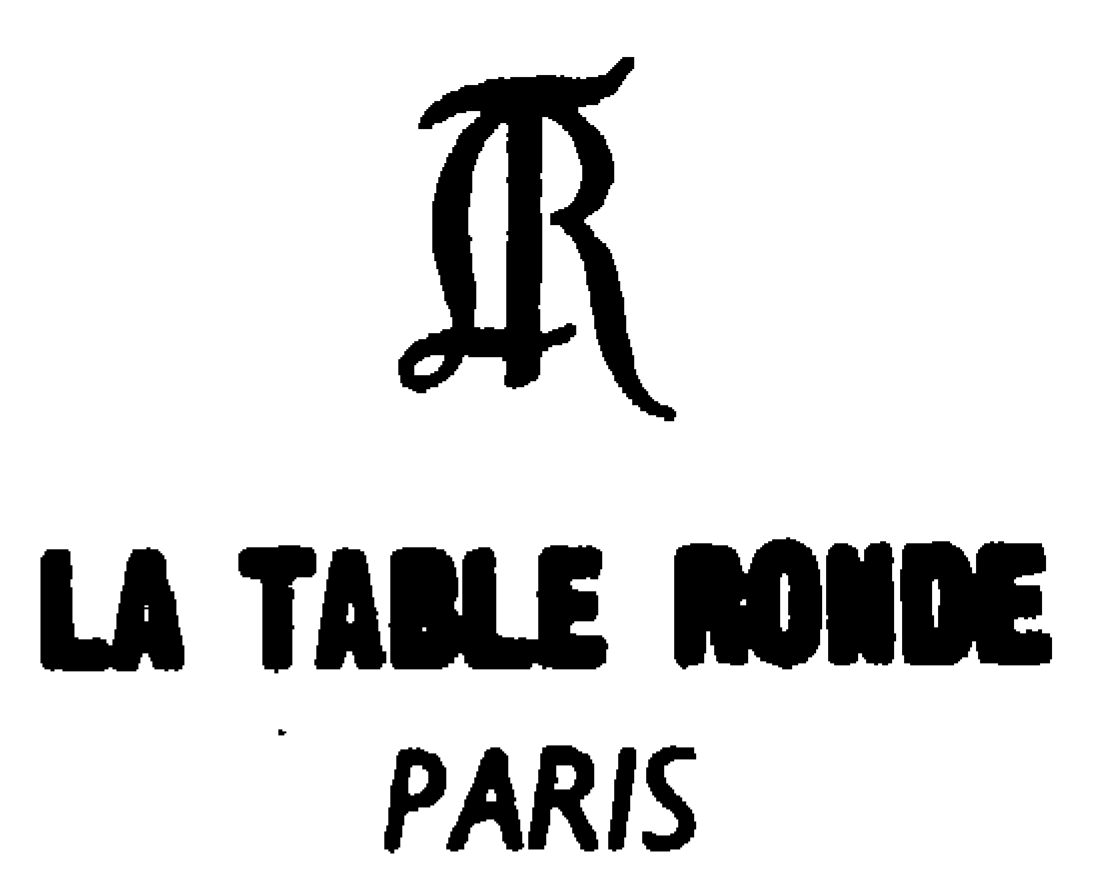
مسرحية من اربعة فصول

تأليف : جبريل مارسل
ترجمة وتقديم : فؤاد كامل
مراجعة : محمد اسماعيل محمد

العنوان الاصلى للمسرحية

GABRIEL MARCEL

Le Chemin de Créte



LA TABLE RONDE

PARIS

الاهداء

الى السيد هارى - آن كوهنسين

مع احتراماتي

ج. م

شخصيات المسرحية

جيروم ليبريير	Jérome Leprieur
سرج فرنشار	Serge Franchard
باسينيي	Bassigny
فيليب ڤاريه	Philippe Varet
شاربونو	Charbonneau
آريان ليبريير	Ariane Leprieur
ڤيوليت مازارج	Violette Mazargues
فرناند مازارج	Fernande Mazargues
سوزان فرنشار	Suzanne Franchard
كلاريس بوليو	Clarisse Beaulieu

★ ★ ★

الفصل الأول

في منزل فيوليت. أتيلييه يكاد يكون عاريا من الأثاث (في منزل جديد ، على مقربة من إحدى بوابات باريس . نلمح من الكوة الزجاجية القائمة في المؤخرة أسطح المصانع ومداخنها . يحتل وسط الحجرة بيانو كبير (بذيل) وعلى اليمين ، في الصدارة بـــاب يؤدى إلى غرفة انتظار صغيرة . وفي المؤخرة ، باب على اليمين ، وآخر على اليسار .

المنظر الأول

فيوليت ، فرناند ، باسيني

(عند ارتفاع الستار ، تكون فيوليت بسبيلها إلى عزف مقطوعة بارتيتا لباخ من مقام دوكبير للكمان المنفرد ، نراها مستغرقة تماما في عزفها ، تنتفض حين تسمع صوت بلعب يفتح : يدخل فرناند مع باسيني .)

باسيني : استمرى ، أرجوك ، استمرى . (تأتى فيوليت بحركة تدل على الرفض ، وتضع كمانها في العلبة) .

فرناند : يبدو لى حقا ؛ أنه مادام السيد باسيني قد طلب منك ..

باسيني: أردت أن الح على هذا الأمر، ولكن..

فيوليت : كنت أتألم طيلة هذا الأسبوع ، وليس لدىّ اليوم أية قدرة على ضبط الايقاع .

باسيني : (في اهتمام) تتألمين ؟

فرناند : إنه كبدها دائما . ينبغى عليها أن تقضى فترة علاج في فيشى .

فيوليت : لا مجال لبحث هذا الموضوع .

باسيني : ولمـــاذا ؟

فيوليت : (في جفاء) لعدة أسباب .

باسيني : إن أختك لم تخطئ . فاذا كان الطبيب أشار عليك بفيشى ..

فيوليت : (بنفس اللهجة) إننى لم أر طبيبا .

باسيني : أستطيع أن أبعث إليك بطبيبي . ولو طلبت أنا منه ذلك فانى واثق من أنه سيعنى بك عناية خاصة ..

فيوليت : شكـــراً .

باسيني : بل ربما استطاع أن يحصل لك على تخفيض في فيشى . هؤلاء القوم جميعا يمكثون هناك .

فيوليت : إني أمقت الأفضال .

باسيني : ينبغى أن تفكرى أيضا في أن الفرصة سانحة لك في فيشى لعقد علاقات نافعة . بل دون اختبار للاستماع ، ستتاح لك الفرصة . . .

فرناند : لم نُفكر في هذا .

باسيني : كثيرا ما لاحظت أنه في مدن المياه المعدنية تتحدد مستقبل الاشخاص .

ولو كنت في مكانك ، ما ترددت في الذهاب .

فيوليت : الواقع ، أنني لا أتردد .

باسيني : (إلى فرناند) ألديها حقا الرغبة في أن تشق طريقها ؟ ثمــة لحظات يساورنى الشك في ذلك ، كما تعلمين . أنا لا أطلب أكثر من أن أبذل كل ما في وسعى . لمساعدتها ، ولكن عليها هى أيضا ألا تضع العراقيل في وجه هذه المساعدة .

فرناند : هذا طبيعى جدا .

باسيني : في العصر الذى نعيش فيه ، لم يعد اظهار الفنان مهنة ، بل أصبح شيئا من قبيل الاحسان . وأنا ، يعجبنى هذا ، وأظن أنه شيء يجرى في دمى ، واعتقد أن من الممكن أن أتخلى في سبيل ذلــك عن آخر فلس أملكــه .

فرناند : لقد استطعنا منذ زمن طويل أن نرى كيف أنك لا تشبه أمثالك إلا قليلا ، أليس كذلك . يافيوليت ؟

باسيني : أنا لا أريد أن اغتاب أحدا ، ولكن ثمة أوغاد في هذا المجال كما في غيره ، بل إنهم يؤلفون الغالبيةالعظمى. وإنه لشيء أكيد — ياسيدتى — حين لا يملكون عبادة الفن .. ماذا كنت تعزفين عندما دخلت ؟ يبدو أنني أعرف هذه المقطوعة .

فيوليت : البارتيتا من مقام دو كبير .

باسيني : آه ! هذه الآلة ... أتعلمين ، ينبغى أن تأخذى حذرك. فقد بدأوا في المبالغة .. ففى ذلك اليوم ، حين عزفها ستيفانسكو عند جافو ...

فيوليت : لم تكن هى هذه المقطوعــة .

باسيني : سيان ، فهى مثلها تماما . لا حظت أن الناس كانوا يتثاءبون في المقاعد الأمامية أما أنت — ياصغيرتى ، فعندما تعزفين في حفلتك على كل حال — لو أن عندى نصيحةً أسديها اليك ، لكانت أن تُخْفى بارتيتاتك هذه فالشيء الأول بالنسبة لمبتدئ على وجه الخصوص هو ألا يُضْجر الناس .

فرناند : (بلهجـــة شاكية) فيوليت ليست مبتدئة تماما .

باسيني : أنا أعرف ما أقول . إنها لم تعزف قط أمام جمهور ، أمام ما يسمى جمهورا . أنا لا أتحدث عن مدرستكم ، وعن كنائسكم الصغيرة ، وأفضل برهان على ذلك ، هو أنني لم أسمع باسمها قط ، قبل أن ألتقى بهـــا عند آل سربابيـــه .

فرناند : ياله من حظ أنْ جئتَ إلى هذه السهرة !

باسيني : واذكرى أنى أرفض دائما من حيث المبدأ هذا النوع من الدعوات . فلا بد من أن يقول المرء كلمة مجاملة عن يمينه ، وعن يساره . وأنا أفزع من هذا ، لأنى خُلِقت للصراحة . ثم انني حين لا أكون مكلفاً بعمل مرهق ، أوثر أن أنام مبكرا . فان لدىّ أنا أيضا كبدا في حاجة إلى الرعاية . ولا عجب في الواقع ، إذا ذهبت لأراكما في فيشى حين تذهبان إليها . وبلا فخر ، أنا أعرف الناس جميعا هناك ، وسيكون من اليسير علىّ كل اليسر أن أقدمكمـــا إلى هذا الشخص ، أو ذاك .

فرناند : لسنا ندرى كيف نشكرك .

باسيني : خير طريقة لشكرى ، هى اتباع نصائحى .

المنظر الثانى

نفس الأشخاص ، سرج ، (الذى يدخل من المؤخرة)

سرج : آه عفوا ، حسبتكما وحيدتين . (إلى باسيني ، في ارتباك) صباح الخير .

باسيني : (مشدوها) هاكم شبحا ! ...

سرج : وجدت أن يدىْ مونيك دافئتان ، ألا ينبغى أن نقيس حرارتها ؟

فرناند : سيكون الحال كما كان في ذلك اليوم الآخر ، ستصبح من جديد شديدة الانفعال أثناء عزفهما معك . هذا شيء غريب .

فيوليت : إنى ذاهبة . (تخرج مع سرج من مؤخرة المسرح)

المنظر الثالث

فرناند ، باسينـــي

باسيني : (خافضا صوته) أما زالت مستمرة في رؤيته ؟

فرناند : إنهم يحضرون إليها الطفلة مرة كل أسبوع ، من حيث المبدأ ، غير أن فيوليت لم تجروْ بعد على اخراجها منذ إصابتها بالنزلة الشعبية . وفي هذا مبالغة كبيرة . ولذلك فانه هو الذى يحضره .

باسيني : هذا غريب . . وهى . . . بعد مافعله بها ، أرى أنهـــا مسرفة الطيبة حين تستقبله .

فرناند : إن فيوليت لاتحمل ضغينة لأحد .

باسيني : تصرف كما يتصرف أشـــد الناس فظاظـــة . . . أه !

أخبروني بما جرى . كما قالوا لى إن حال المنزل لايسير
على ما يرام .

فرناند : إنها بخير في أى وضع كان .

باسيني : وبائنتها قد ابتُلعت في انهيار بنك فييّار .

فرناند : آه !

باسيني : بحيث عاد أبْلَه من جديد كما كان من قبل .

فرناند : ما كان من الممكن — كما تعلم — أن تتزوجه فيوليت بحال من الاحوال وفي نهاية الأمر ، لا أعتقد .

باسيني : هذا شيء مدهش ، وأقول لك فيما بيننا — إنها لم تستطع قط أن تضحك على عقل ذلك التعس . . مع أنه شخص أجوف . بالأضافة إلى أنه هو الذى بادأها بالقطيعة .

فرناند : لو شئت أن أفضى إليك برأيى . لقلت : اعتقد أنه لم يكن بينهما قط سوى شيء من الزمالة .

باسيني : (مشيرا الى الباب) ولو ! كانت بعيدة ، هذه الزمالة، قولى ذلك إذن !

فرناند : كلا ، ولكنى أردتُ أن أقول . . . إنه في أيامنا هذه — كما تعلم — خصوصا بين الفنانين . . . كانت صغيرة جدا ، وضائعة جدا . أما أنا ، فكنت في مصحة . ولم تكن تعرف أحدا تقريبا في باريس . وكل ما يقروْه الناس . . وكل ما يسمعه الناس في المطاعم الصغيرة. . . طبعا ، حاولت أن أحذرها . . ولكن من بعيـــــد ، بالمراسلة ، لايستطيع المرء أن يفعل الكثير ثم انه ينبغى على كل إنسان أن يخوض تجاربه ، ألا تعتقد ذلك ؟

باسيني : ولكن هذه التجربة تبدو لى باهظة الثمن . إن الصغيرة لطيفة ، ولكن من الأفضل – من كل وجهات النظر – أن نجعلها تعيش في الهـــواء الطلق .

فرناند : هذا رأيي أيضا . غير أن فيوليت لم توافق حتى الآن على الانفصال عنها . فمن أصعب الأمور محاربة مثل هـذه العواطف .

باسيني : إنى أسمي هــذا طرطشة في العواطف ، ومن مصلحة الطفلــة أن نبعث بهـــا إلى الريف . وستكون هـــذه أيضا وسيلة – في الوقت نفسه – لإنهاء تلك الزيارات التي لاتروق كثيرا لاختك .

فرناند : مفهوم . لو أنك استطعت استخدام نفوذك على فيوليت لكى نجعلها تفهم واجبها . . .

باسيني : يبدو أنها عنيدة للغاية . . . أوه ! هذا هو الجانب المقابل لسجاياها الجميلة ، هذا شيء أعرفه جيدا .

فرناند : إنها ليست أول متقدمة ، ولكنك لاحظتها على الفور .

باسيني : سيكون من سوء الحظ ألا أملك شيئا قليلا من الحساسية . . . إنها تستطيع أن تكون ذات مستقبل باهر ، هذا شيء مؤكد . ولكن ، ليس هذا ما أردت أن أقوله . . إنها امرأة من نسيج جيد . وهـــذا – كما ترين – شيء لايزحم الشوارع . كل أولئك الصغيرات اللواتي يتخرجن في الكونسرفاتوار (المعهد الموسيقى) . . . وآسفاه . إنهن لايصلحن إلا لإعطاء دروس في المنازل . . .دروس صغيرة في المنازل ولما كانت هذه الدروس لاتوجد تحت حوافر الجياد ، فإن نصفهن ينتهى به الأمر إلى. . .

فرناند : التسكع على الرصيف .

باسيني : وأؤكد لك أن هناك أيضا منافسة شريفة . أعرف واحدة ألقت بنفسها في الماء في الاسبوع الماضى . من الحق أنها كانت قبيحة كالخطايا السبع الكبرى ، ولكن حتى أولئك اللواتى فيهن الرمق . . .

فرناند : هذا مخيـف .

باسيني : إن عصرنا لايرحم المواهب المتوسطة ، ولاالضعفاء ، ولا السذج بوجه خاص . انت تفهمين طبعا بأى معنى أقول ذلك . ومامن إنسان على استعداد مثلى لمد يده إلى رفيق في وقت الشدة . ولكن ينبغى أولا أن يساعد المرء نفسه ، وعلى الأخص ألا يدع الفرصة — إذا سنحت ، أن تفلت منه .

فرناند : هذا ما أقوله كثيرا لفيوليت . إنها مازالت على سذاجة غير مألوفة في كثير من الأمور . إنها تحتقر المال . هذا شيء جميل جدا ، ولكننا لانحيا على هواء الزمن . وقد كان هناك في الماضى رعاة للفنون والآداب . . .

باسيني : لاينبغى بعدُ الاعتماد على هذا . . . فهذا نوع من الناس قد انقرض ، كالماموث والإجوندة (١) ،

فرناند : واذا كنا قد استطعنا أن نتماسك منـذ عامين ، فذلك بفضل ميراث صغير لم يبق منه تقريبا أى شيء .

باسيني : (مشيرا إلى مؤخرة المسرح) أأنت واثقة من أنه لن يأتى لمضايقتها ؟

فرناند : كيـف ؟

---

(١) حترب من الدينوصور

باسيني : أجل ، فرنشار . إنـــه هناك على الساحل ، هأنذا أعيد عليك ذلك .

فرناند : هوّن عليك . إنني أنا الذى أمسك خيوط المحفظة . . . وهو يعرف أنني لا أحمله في قلبي . . . أوه ! إنه شخص مسكين

باسيني : أجل . إنه هذا ، شخص مسكين .

فرناند : ولكن حين أفكر فيما يمكن أن يكلفنا . . . آه ، لـو رأيت فيوليت منذ أربع سنوات . . .

باسيني : إنى أراها الآن ، مازالت في أحسن حال .

فرناند : كانت لها نضارة الزهرة ثم ركبتها الهموم من بعد . . . (بلهجة ذات مغزى) ومع ذلك ، فانى أراها أحسن ، منذ مدة .

باسيني : منذ متى ، تقريبا ؟

فرناند : لا أستطيع أن أقول لك بالضبط . منذ ان التقينا بك تقريبا عند آل سربلييـــــه .

باسيني : آه ! حسن . . .

المنظر الرابع

نفس الاشخاص ، فيوليت ، سرج

فيوليت : درجة حرارة مونيك سبعة وثلاثون وتسع شُرَط .

فرناند : تحت ثمانية وثلاثين . . .

سرج : وحتى هذه تُعَد حرارة مرتفعة . تقولين إنني أثيرها ، أما أنا فقد وجدتها واهنة . إنها لم تطلب مرة أخرى حكاية « الطرطور الاحمر » .

فيوليت : منذ أن قصصتَها عليها ؛ وهى تحفظها عن ظهر قلب

(تظهر الدهشة واضحة على باسيني حين يستمع إلى هذه اللهجة الأليفة التي تتحدث بها فيوليت إلى سرج .

سرج : تستطيعين الاتصال بي غدا تلفونيا لكي تخبريني بحالتها . وإذا كنتُ في الخارج ، فمن الممكن أن تتركي رسالة لسوزان . إني أتعذب أحيانا بشكل لا يمكن أن تعلميه . فأنا أراها شبيهة بأختي الصغيرة تلك التي لم نستطع تربيتها .

فرناند : هيا . هيا . فكر فيما تقول . . . .

سرج : عندما يلازم النحس قوما . مثلما يلازمنا ....

باسيني : سأبعث إليكم بالدكتور باولوس . .

سرج : أوه . نعم . من فضلك . فانا لا أستطيع أن أفعل شيئا وليست لدي علاقات ...

فيوليت : ستعنى بها مدام « جورنيه » عناية كاملة .

باسيني : لا ثقة عندي – أنا – بالطبيبات السيدات .

سرج : ولا أنا ايضا ... هذا حق ، ولا يدخل العقل ، وسوزان مثلي . إن ما يقوله الرجل – أيا كان – له وزن أكبر . آه ! ينبغي أن أنقذ نفسي ، فأنا أعطي درسا في ميدان إيطاليا الساعة السادسة .

ستتصلي بي تلفونيا ، أليس كذلك ؟ (يخرج بعد أن يومئ برأسه إلى باسيني .)

المنظر الخامس

فيوليت ، فرناند ، باسيني

(صمـــت)

باسيني : (بلهجة جذابة) وبعدَ ؟ هل استقر رأيك على مشروع للبرنامج ؟

فيوليت : لست في حالة تسمح لى باحياء حفلة هذا العام ، هذا ما أؤكده لك .

باسيني : ماذا تقصدين ؟ ...

فيوليت : أولا ، لست مستعدة ..

باسيني : يا صغيرتى ، لا تنسى أننا لن نتصرف إلا بعد العودة . حين تكونين قد قضيت فصلا في فيشى ، وبعد أن تكونى قد استعدت صحتك في ركن هادئ أعرفه من الريف ، ستجدين كل وسائلك . وأخيرا ، هذا شيء لا سبيل إلى تصديقه !

فيوليت : لقد أحطت بذلك خبرا ، استئجار قاعة . ، الدعاية ، كل هذا يكلف المرء عينيه . ولست أملك الوسائل لارتكاب مثل هذه الحماقة .

باسيني : أتراك تتصورين مثلا أننى لم احسب حسابا لكل شيء ؟ استئجار القاعة شيء في غاية البساطة ، أنا الذى سأتكفل به . هذه مسألة منتهية ستكون لك قاعة » فوربة في الثامن عشر من أكتوبر .

فيوليت : (شديدة الشحوب) كيف ؟

فرناند : ولكن ، يامسيو باسيني ...

باسيني : ليست هذه هى المرة الأولى التى أُمْنَح فيها .. هذه المتعة .

فيوليت : بأى حق ؟

باسيني : إنى أسمى هذا وضع الأقدام على طريق النجاح .

فيوليت : مرة أخرى ، بأى حق ؟

باسيني : كيف ؟

فرناند : فيوليــــت !

فيوليت : هل أخذت رأيى ؟ هذا شيء لم يُسْمعَ به قبل ! أتحسبنى طفلة ؟ أتعتقد مثلا أننى لا أرى مقاصدى في وضوح ؟ لقد تحدثت إلىّ حالا عن عبادتك للفن ، أنت الذى لا تعرف كيف تميزْ « الشاكون » من « رومانس » لفينيافسكى ! آه ! كلا ، هذا شيء لايطاق ! وأنت تتصور أننى سأترك نفسى ليوضع الحبل حول عنقى ؟

باسيني : إنها مجنونة .

فيوليت : الحبل حول العنق .

فرناند : ولكن ماذا دهاك ؟

فيوليت : في الأمسية الأولى اؤكد لك انى تضايقت . عند آل سربلييه ، كانت لك طريقة في النظر إلىّ ، وفي تقريظى .. آه ! والحقيقة أن تلك الانطباعات لا تخطئ أبدا ، كل مافي الامر ، أن بى ضعفا هو عدم الثقة بنفسى . وكان ينبغى علىّ ألا أسمح لك بأن تضع قدميك هنا .

باسيني : أتستولى عليها هذه النوبات كثيرا ؟

فرناند : لقد قالت لك ذلك بنفسها ، إنها ليست على ما يرام هذه الأيام الأخيرة ، إنها لا تنام جيدا ....

باسيني : سيمر عليكم باولوس مساء غد ؛ وسيفحص الصغيرة بهذه المناسبة .

فيوليت : لن استقبلــــه .

فرناند : لقد تحملت يافيوليت ما فيه الكفاية ــ على كل حال . لقد اتيحت لــــك الفرصة لأن تلتقى لأول مرة برجل كفء لا يقدرك فحسب ، بل يملك الوسيلة لخدمة مستقبلك . . .

فيوليت : مستقبلــــى !

باسيني : أيا كان الأمر ، فلا بد يا صغيرتى ، من معرفة الفكرة التي تدور في رأسك

فرناند : ليست لديها ــ بالضبط ــ أية فكرة ، إنها تعيش في الحاضر ، إنها طفلــــة .

باسيني : من الناحية المادية ، علام تعتمدين في معاشك ؟ ليست لديك النيــــة على أن تعيشى عالة ، على ما أعتقد ؟

فيوليت : هذا شيء لا يخصك ، على ما أعلم .

فرناند : فيوليــــت !

فيوليت : ليس من حقك أن تستجوبنى عن حياتى الخاصة .

فرناند : (إلى باسيني) أرجوك ، لا تذهب إلى افتراض ...

باسيني : عفوا ، هناك نقطة تتطلب مع هذا شيئا من التوضيح . أوافق على نسيان الجحود البغيض ــ بما فيه الكفاية ، ــ

بل البغيض للغاية — الذى أبديته نحوى الآن . . هذا شئ أريد أن أرجعه — لست أدرى — إلى مرارتك . ولكن بعد الاهتمام الذى أظهرته لك ، وعلى الأخص ، قبل الدخول في أية مجازفات ، أجل ، قبل التورط في نفقات باهظة ، من حقى أن أعرف مع من أتعامل؟

فرناند : مسيو باسيني !

باسيني : أما أنك شئ يباع ويشترى ، فلست كذلك ، ويكفى أن ينظر المرء إليك . ولكن ثمة طرق أخرى لتضييع الحياة . وفي هذا المجال ، أنا أقل اطمئنانا .

فيوليت : فليكن .

باسيني : أتقدرين موقفك حق قدره ؟ لو أنني تركتك تسقطين ، فلن تكون لك أية فرصة — لا أقول لشق طريقك — ولكن للافلات من البؤس ، أتسمعينني ياصغيرتى — من البــؤس . على الأقل ... أجل ، في هذه الحالة

فرناند : (متشاكية) ! نحن لا نرى أحدا ، نحن لا نملك أية علاقة . ثم ، إذا كنت قد عرفت فيوليت ....

باسيني : اعتقدت أنني اعرفها ، ولكن بعد هذه الفورة .... اشرحى أنت ، أخيرا ، ياللشيطان !

فيوليت : اعتقد انني قد عبرت عن نفسى في وضوح .

فرناند : فيوليت ، فكرى في مونيك ...

فيوليت : أرجــوك .

فرناند : ليس في وسعى أن أفهمك ، لقــد قدم لك اليوم مسيو باسيني أجمل دليل على الثقة ، على التقدير ...

فيوليت : آجمل من اللازم .

فرناند : وأنت تتلقينه وكأنه اهانة .

فيوليت : إنه لكذلك فعلا .. وما عليك إلا أن تنظرى . لقد اتخذ منه على الفور ذريعة للتدخل في حياتى الخاصة .

باسيني : ليس للفنان حياة خاصة ، هذا شيء لا وجود له .

فرناند : ولكن ، افهمى إذن ، فلأنه يمسك بيده مصالحك بكرم غير مألوف فمن واجبه في الوقت نفسه ...

فيوليت : إنك تضحكيننى .

فرناند : هناك كثيرات من النساء اللواتى أفسدن فرصتهن بالحماقة أو بالضعف ، إنى اتحدث إليك عن الفنانات ، الفنانات الحقيقيات . . انظرى إلى لوبينسكى الصغيرة .... هذا مستقبل باهر ضاع ...

من أجل ابله ، من أجل معتوه . ومسيو باسيني على استعداد لبذل تضحيات هائلة من أجلك .

باسيني : هيه ، على رسلك ، لاداعى للمغالاة .

فيوليت : أنا أسمى هذا استثمارا .

باسيني : تخطئين — ياصغيرتى — بكل تأكيد ، خطأ فاحشا . أو لو كان استثمارا لكان مالا ضائعا .. أو لعلك تعتقدين أننى واهم أقل وهم عما يمكن أن تعودى به على ! إنك لا تريدين أن تفهمى أنه شيء من الكماليات ذلك الذى أقدمه ، مجرد كماليات ، لأن الربح سيكون صفرا بالضبط ، لأننى أعلم ذلك ، لأننى على ثقة من ذلك ؛ وهذا ما يروق لى في هذه المسـألة .

فرناند : (في لهجة شاكية) لماذا أصبحت فجأة مثبطا للهمة على هذا النحو ؟

باسيني : لو لم أحمل لكما تعاطفا ، كثيرا من التعاطف ، فمن الواضح أنني ما كنت أضع قدمي هنا . الوعود ، والمواهب إن شئت — تملأ الشوارع ، ومنذ الآن ، أضمن لكما أن عندى منها غصة .

فيوليت : أتسمعينـــه .

فرناند : ولكن ، ياسيد باسيني ، أنا لا أفهم جيدا ... اعترف بأن هذه خيبة أمل عظيمة ....

باسيني : (بفظاظة) لمـــاذا ؟

فرناند : حسبت أن المسألة من وجهة النظر الفنية ...

باسيني : إنك تضحكيني بوجهة النظر الفنية هذه ..

فيوليت : هل استقر رأيك الآن ؟

باسيني : صداقة ايجابية من أجمل الانواع .

فيوليت : منزهة عن الغرض بوجه أخص .

باسيني : هذا ما أحمله لك بكل طيبة .

فيوليت : من المؤكد أن هذا شيء مؤثر جدا .

باسيني : لست أدرى إن كنت اعرفلك ، ولكن الشيء الذى أثق فيه ، هو أنك لا تعرفينني . إنك تحملينني نيات لا أدرى عنها شيئا .. إن لى يا آنسة دون مفاخر — عشيقة : تعد واحدة من أجمل فتيات باريس .

فيوليت : دون تفاخر ، هذه رائعة من الروائع .

باسيني : إنها حيوانة كقدميها، ولكن هذا ما يلزمني . ولو حدث مثلا أن ضاق أحد منا ذرعا بالآخر ، فسيجد في يسر ما يعزى به نفسه . أما أنتِ فشيء آخر . إن عاطفتى نحوك ، لا نظير لها .

فيوليت : أشكرك كثيرا على هذه التوضيحات ، وسأجيب عليها بنفس الصراحة ... لقد تصادف أن لى عشيقا .

باسيني : هيــه ؟

فرناند : فيوليت !

فيوليت : كل ما في الأمر أن العلاقة التى بينه وبينى ، فلنقل إنها كراسة بلاهامش لا مكان فيها لتلك الصداقة الايجابية المنزهة عن الغرض . بكل بساطة ... لا مكان . آسفة . (تومئ برأسها كأنها تأذن له بالانصراف) .

باسيني : حسن جدا . شكرا . حظا سعيدا . أتعشم أن يكون ذا مال (يخرج بعد أن يغلق الباب وراءه . تعيد فرناند فتحه ، نسمعها تتكلم بتدفق في مدخل البيت ، ولكن هذا التدفق ينقطع بسبب ضجة الباب الخارجى الذى يعيد باسيني إغلاقه) .

المنظر السادس

فيوليت ، فرنانـــد

فرناند : (تعود شاحبة الوجه من الغضب) أهنئك ..

فيوليت : ياله من خلاص !

فرناند : ولكننى أحذرك بأن الأمر لن يمر على هذا النحو . والح في طلب بعض الايضاحات .

فيوليت : كنا تشائين . سأذهب فحسب لأرى إن كانت مونيك في حاجة إلى شيء .
(توارب باب المؤخرة في رفق) إنها تنام في هدوء .
(تعيد إغلاق الباب) هأنذا ؟

فرناند : سؤال أول : أتعتمدين على جيروم ليريير في إعالتنا نحن الثلاثة ؟

فيوليت : أنت توفرين علىّ الاجابة عليك .

فرناند : لا تنوين أن تعيشى عالة على جيروم ليريير ؟ (صمت) ثم : هذا سؤال ثان : كيف سنعيش بعد شهرين عندما يكون ميراث العم أميديه قد أُنفِق تماما ؟

فيوليت : جاء دورى في توجيه الأسئلة فيم يختلف الموقف لو أننى لم اطرد ذلك الشخص من الباب ؟ أعلى هذه « الحفلة » تعتمدين في تسوية أمورنا ؟ (فرناند تهز كتفيها) . إذن ؟

فرناند : قالها هو نفسه : إنه يستطيع أن يضع قدمك على سلم المجد .

فيوليت : مجرد ألفاظ !

فرناند : أتعتقدين ذلك ؟ كما لو كان غير مهيأ تهيئة رائعة للحصول لـك على أجور ضخمة . إن سهرة آل سربلييه قد حملت لك ألفا من الفرنكات .

فيوليت : أبسببه واتتنى هذه الفرصة ؟

فرناند : من السهل عليه أن يجددها .

فيوليت : لا أظن ذلك . فهو لا يتمتع بأىّ رصيد لدى الموسيقيين

فرناند : ومن الذى يتحدث عن الموسيقيين ؟ إنهم يتضورون

جوعا ، إن كان لا بد أن تعتمدى عليهم !

فيوليت : على كل حال ، أتقدرين الثمن الذى يلزمنى بدفعه نظير ومساعيه الحميده ؟

فرناند : أنا مقتنعة بأن الأمر سينتهى به إلى طلب يدك . (فيوليت تنفجر ضاحكة) طيب !

فيوليت : أنت مجنونة تماما ...

فرناند : الواقع ، أنه ببساطة رجل يرغب في تأسيس بيت

فيوليت : ومن المبهج إذن أن يساعده المرء في هذا السبيل !

فرناند : (بقســوة) ما خططك ؟

فيوليت : ليس لدى أية خطط .

فرناند : إذا كنت تأملين أن يطلب جيروم الطلاق ليتزوجك ، فأنت مخطئة .

فيوليت : لم أفكر في شيء مثل هذا قط .

فرناند : إنها تمسك به جيدا . لا بواسطة المال فحسب .

فيوليت : أرجوك .

فرناند : إنها امرأة لا يستهان بها .

فيوليت : أعرف ذلك .

فرناند : هل حدثك عنها ؟

فيوليت : كثيرا جدا ، في كل مرة تقريبا .

فرناند : هذا شيء عجيب إلى حد ما

فيوليت : إنه معجب بها ، وهو على حق .

فرناند : ربما كنت معجبة بها أنت أيضا ؟

فيوليت : من خلال ما يحكيه لى ، أجل ، بكل تأكيد .

فرناند : إذن ؟

فيوليت : إذن .. لا شيء .

فرناند : وتعترفين بانه طريق مسدود ؟

فيوليت : الحياة طريق مسدود .

فرناند : هذه جملة تقال .

فيوليت : لا أرى هذا الرأى .

فرناند : لماذا لم تريدى قط الاطلاع على رسائلها ؟

فيوليت : أية رسائل ؟

فرناند : الرسائل التى كتبتْها إلىّ عندما كنت مريضة .. حتّى وحتّى ما بعد ذلك .

(حركة غامضـــة من فيوليت .)

فيوليت : إنها ليست مبعوثة إلىّ .

فرناند : (في سخرية) بديهى .

فيوليت : فلنكفّ عن الحديث عنها ، أتسمحين ؟

فرناند : عجبا ! (صمت) أتعلمين أنى تلقيت بطاقة منها مساء أمس ؟

فيوليت : أجل ، تعرفتُ على خطها .

فرناند : تبلغنى فيها بأنها تريد أن تأتى لزيارتى . وأنها سعيدة بالتعرف عليك .

. . . ماذا ، ؟

فيوليت : لا شـــىء .

فرناند : هذا شيء ظريف ، أليس كذلك ؟

فيوليت : أصغى إلىّ يا فرناند ، أى لذة تلك التى تجدينها في تعذيبي ؟

فرناند : أوه ! لا تبالغى .

فيوليت : هذا الموقف بشع ، إنه مستحيل . .

فرناند : ومع ذلك ، فأنت راضية عنه .

فيوليت : غير صحيح . ولكن ... لن أراها .

فرناند : وأية حجة تقدمينها ؟

فيوليت : أى حجة كانت . لا يهم .

فرناند : ليس في وسعك أن تعرفي إن كانت قد راودتها شكوك معينة فعلا .

فيوليت : جيروم متأكد من أن شيئا من ذلك لم يساورها ؟

فرناند : ياللهجة التى تقولين بها ذلك !

فيوليت : الكذب .... شيء دنيء .

فرناند : لاشيء يرغمك عليه . أتؤثرين أن تَعْرِفَ الحقيقة ؟

فيوليت : لو أن جيروم لم يكن ماهو عليه .....

فرناند : مامعنى هذا ؟

فيوليت : لابد من قبوله .

فرنالد : مـــاذا ؟

فيوليت : الكذب . إنه عقابنا .

فرنانـــد : لماذا تقولين : عقابنا ؟

فيوليت : جيروم أشد شقاء منى .

فرناند : يالها من عقلية غريبة ! (صمت) أحب أن أقول لك على الفور إننى لن اشارك طويلا فيما يدور هنا . كنت أعتمد على باسيني لكى يخلّصك من هذه الخطوة السيئة.

فيوليت : أوضحى .

فرناند : لقد شرفتك باعتقادى أنك ستكونين عاقلة بحيث تفهمين أى حظ تمثله لك صداقة رجل مثل باسيني .

فيوليت : كونى صريحة . كنت تأملين أن . . .

فرناند : لاشيء من هذا على الاطلاق . ولكن ، اذا حدث ، أجل ، سأكون في غاية من السرور . أولا ، فكما أعرفك ، كنت ستقطعين تلك العلاقة المؤسفة ، وأكرر عليك أنه قد يتزوجك لانهاء . . (فيوليت تحملق فيها بذهول مرتاع .) لماذا تنظرين إلى هكذا ؟

فيوليت : إنى أخجل من أجلك .

فرناند : لديك منه بوفرة — على ما أرى — هذا الخجل . (تسمع الصغيرة مونيك التى تنادى : ماما ! من الحجرة الجانبية.)

فيوليت : ها أنذا قادمة ، ها أنذا قادمة ، ياحبى .

(تخرج من مؤخرة المسرح)

المنظر السابع

فرنانــد ، ثم جــيروم

(بعد أن تبقى فرناند وحدها ، تذهب إلى مكتب صغير ، تفتحه ، وتسحب منه بطاقة بريدية تعيد قراءتها في انتباه ،

تجلس ، وهى ممسكة بالبطاقة ، ويبدو عليها أنهامستغرقة في تأمل عميق ، وفي هذه اللحظة يدق جرس الباب الخارجى ، فتضع البطاقة في المكتب ، وتعيد إغلاقه ، تذهب إلى الباب وتفتحه . تظهر في الحال يتبعها جيروم)

فرناند : أتنتظرك فيوليت ؟

جيروم : كلا . . . لست أدرى . . . وإنما ينبغى أن أكلمها .

فرناند : تحسن صنعا لولم تبعث الحيرة في نفسها كما فعلت ذلك اليوم . فهى لم تستطع النوم إلا بعد أن تناولت مخدرا ، وهذا كما تعلم يضرها ضررا بليغا . وهى — بوجه عام— ليست على ما يرام إطلاقا في هذه اللحظة . وقد صدم أحد اصدقائنا كان هنا منذ لحظة لسوء صحتها .

جيروم : أين هى ؟

فرناند : إنها إلى جانب الصغيرة التى لاتبدو هى الأخرى أكثر اشراقا في هذه الأيام الأخيرة .

جيروم : لماذا لاترسلينها إلى الريف ؟

فرناند : ما أيسر القول ! . عند من ؟ ومع من ؟

جيروم : أنت مثلا ، ألا تستطيعين اصطحابها ؟

فرناند : فكرة طيبة . عندما تكون وحدها معى خلال ربع ساعة ، تأخذ في البكاء ، وتطلب أمها ، إنها تجعل الحياة مستحيلة .

جيروم : ينبغى أن تتعود على ذلك .

فرناند : أنت شخص لانظير لك .

جيروم : كل ما أراه هو أن فيوليت ترهق نفسها في العناية بها ، وأنها عصبية على نحو رهيب بسببها .

فرناند : أتعتقد أنها ستكون أهدأ بالا لو أنها انفصلت عن مونيك؟ تكلم ؟

جيروم : لو علمت أنها مستقرة معك في الهواء النقى . . .

فرناند : الاصطياف في الجنوب ، يكلف غاليا ، ويبدو عليك أنك لاتقدر ذلك ، لاشيء سوى الرحلة . . .

جيروم : ليس ثمة ما يرغم على الذهاب بعيدا . إلى الريف فحسب. ولن يعدم المرء أماكن يستطيع أن يعيش فيها بنفقات قليلة . لم يعد أحد يملك شيئا . والناس يرحبون بالنزلاء عندهم ، وما على المرء إلا أن يبحث .

فرناند : الأحرى أن يقال إن اقتراحاتك غامضة .

جيروم : أنت تعلمين ، أننى في المسائل العملية . . .

فرناند : هذا — في الواقع — مالاحظته . (صمت)

جيروم : (مرتبكا) ذلك الصديق الذى تحدثت عنه . .

فرناند : ماذا ؟

جيروم : أكان سرج فرنشار ؟

فرناند : كلا (تنهيدة ارتياح من جيروم) لقد حضر هوأيضا منذ لحظة .

جيروم : يبدولى انه يأتى هاهنا كثيرا من فترة .

فرناد : منذ أن استبقينا مونيك في المنزل .

جيروم : ألا يمكن أن يكتفى بالاتصال تلفونيا ؟

فرناند : لم يعد لديهم تليفون . لابد من أن يناديهم البواب .

جيروم : ولماذا لم يعد لديهم تليفون ؟

فرناد : من قبيل الاقتصاد ، على ما أظن .

جيروم : من الحق أنه قد أصبح باهظ التكاليف ، فلقد تسلمت منذ أيام إخطارا بدفع مائتين وستين من الفرنكات .

فرناند : بسبب القسط الثابت ، بالطبع .

جيروم : ولو ! . . . أما أنـا ، فأستطيـع أن أتغلب على — هذه المشكلات . . ولكنهـا آريان هى التى تتمسك بأن . . إنها أهدأ عندما لاتكون هناك .

فرناند : كيف حالهـا ؟

جيروم : عندما تصل من الجبل ، تكون دائما بصحة رائعة ، فلا يساورها الشك في شيء ، ومن ثم فانها تسيء استغلال قواها ، وترتكب كثيرا من ألـوان الطيش ، وفي غضون شهر تكون قد أضاعت تماما كل ما أفادته من إقامتها هناك .

فرناند : ينبغى أن تحصل منها على تعهد بأن تتصرف في حكمة .

جيروم : إنها لاتتصرف إلا وفق ما يمليه عليها دماغها ، لسوء الحظ .

فرناند : تصور أنها قد تأتى لزيارتى يوما من هذه الأيام .

جيروم : (قلقا) كيف ؟

فرناند : أنت تعلم جيدا أننا على علاقة منذ عدة أعوام ، هى وأنا .

جيروم : علاقة بالمراسلة .

فرناند : كنت أراها كل يوم خلال شهر كامل عندما كنت في هوتفيل .

جيروم : ولكن ، أى سبب يمكن أن يكون لديها لزيارتك في الوقت الحاضر ؟ إنك لم تعودى مريضة .

فرناند : ألا تعلم أن المؤسسة التى أنشأتها تتابع المرضى بعدشفائهم؟

جيروم : بلى . . . ولكننى لن أستطيع المجىء مادامت لم تقم بعد بهذه الزيارة .

فرناند : لمــاذا ؟

جيروم : تخيلى أنها التقت بى هنا ، أى تفسير يمكن أن أقدمه لهــا لحضورى ؟

فرناند : من اليسير دائما العثور على ذريعة . وحين يكون المــرء أديبــا . . .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، فيوليت

(جيروم يتقدم إليها ، يعانقها ، وينظر إليها قلقــا .)

جيروم : يا عزيزتى . . . من الحق أنك لا تتمتعين بصحة مشرقة.

فيوليت : (دون أن تجيب) كانت مونيك تتصبب عرقا ، فكان من واجبى أن أغير لها ثيابها من رأسها إلى القدم .

جيروم : ربما كان من الواجب استشارة طبيب .

فرناند : سيمر الدكتور باولوس غدا .

فيوليت : (مبتسمة) أوه ! لا أظن .

جيروم : باولوس ؟ يقولون إن فالنتان طبيب بارع للأطفال .

فرناند : (بخشونة) أتعرفــه ؟

جيروم : إطلاقا .

فرناند : انه يتقاضى ثلاثمائة من الفرنكات في الاستشارة الواحدة

جيروم : وما العمـــل ؟

فرناند : (في احتقار) أنت لا تملك غير هاتين الكلمتين في فمك (تهم بالخروج)

فيوليت : أين تذهبين ؟

فرناند : لم أشتر بعد شيئا للعشاء . (تخرج)

المنظر التاسع

فيوليـــت ، جـــيروم

جيروم : إنها على صواب ، إنني لست نافعا في شيء ، وأؤكد لك أنني أشعر في هذه الايام الأخيرة بأنني بلغت الـــدرك الأســـفل .

فيوليت : (في حنان) ماذا جرى ؟ قبلني أولا فالقبلة التي طبعتها حالا لا تُحْسَب .

جيروم : ينبغي ألا نتعانق أبدا أمام فرناند .

فيوليت : لمـــاذا ؟

جيروم : كيف يقال ذلك ؟ إنه نوع من التدنيس .

فيوليت : (في مرح) لم أكن أعرف أنك تُكِنّ هذا الاحترام لفرناند .

جيروم : لا أظن أنني أبغضت إنسانا قط بمثل هذه الحرارة .

فيوليت : أنت مخطئ . فرناند ليست شريرة ، كل ما في الأمر .

جيروم : مـــاذا ؟

فيوليت : كلا ، كدت أقول شيئا فظيعا .

جيروم : قوليه ، هذا الشيء الفظيع .

فيوليت : إنها شخص ينبغي ألا يُشْفَى أبدا .

جيروم : كيـــف ؟

فيوليت : يجب أن تأخذنا الشفقة بهؤلاء الناجين من الخطر .

جيروم : هذه مفارقـــة .

فيوليت : وأكاد أكون واثقة من مرور لحظات عليها تحسد فيها رفيقاتها في المصحة اللواتي لم يكتب لهن الشفاء . كـــل ما في الأمر أنها لم تعد تتذكر شيئا . مسكينة فرناند !

جيروم : عندما تكونين معها ، فانك لا تظهرين كل هذه الرحمة

فيوليت : لا يمكن للمرء أن يكون عادلا نحوها إلا عندما تكـــون غائبة . فحضورها يخرجها عن موضعها .

جيروم : (متفكرا) أما آريان ، فعلى النقيض من ذلك تمامـــا ، عندما تكون بعيدة لا أصل إلى إنصافها ، وحين أعود فأراها . . . هذه المرة ، عاهدت نفسي أن اكتشف فيها كل أنواع العيوب . بل لقد بدا لى أنني حددتهـــا على البعد ، وليس عليّ الا أن أتحقق من صدقها . ولكنـــى كنت مخطئا . فهذه العيوب لا تنتمي إليها .

فيوليت : يا جيرومى المسكين ، من الخسة أن نأمل في العثور فيها على ما يبرر سلوكنا ، فهذا السلوك يمتنع على التبرير . فلتكن لدينا ــ على الأقل ــ شجاعة الاعتراف به .

جيروم : ليس في وسعي أن استسلم أبدا . أما أنت . . أنت بوجه خاص . . ينبغي أن استطيع القول لنفسي طول الوقت: هذه غلطتها ، غلطتها هي .

فيوليت : (في حزن) أنت تعلم جيدا أن هذا ليس صحيحا .

جيروم : تذكرى إذن ، أنها في ثلاثة أعوام ، مكثت ستة أسابيع في باريس .

فيوليت : لا شيء يمنعك من البقاء معها في لونيسى .

جيروم : في تلك الجبال التى أمقتها ، والتى تخنقنى . . ثم إن هذا ليس صحيحا . حتى آريان نفسها يمكن أن ينتابها اليأس من تلك الجبال . . منذ عامين ، عندما حاولت انأتعود على ذلك الطقس ، وذلك الأفق ، وعلى عالم المرضى ذاك ، كانت هى التى أصرّت على أن أرحل . . يوما إثر يوم ، دون كلل ، كعادتها حين تصر على شئ.إنها عنيدة غاية العناد ! وحين تضع فكرة في رأسها ، لا أمل في اقناعها بتغييرها . وهذا شيء عجيب عند امرأة في مثل ذكائها ، وكأنها مسألة شرف . وفضلا عن ذلك ، فقد كانت هذه المرة ، على صواب ، مثل هذا الوجود ، كان من الممكن أن يحطمنى . ثمة أناس يتظاهرون بأنهم يفكرون هناك — تفكيرا أفضل ، وأكثر صفاء وأكثر حرية . أما أنا ، فعلى العكس . من الممكن أن أسقط مريضا . مثل هانز كاستوربب في رواية « الجبل السحرى »* ، وأنا متأكد تماما أننى لن أشفى أبدا .

فيوليت : نحن لا نعلم شيئا . ولماذا هذه المسرحية ؟ على كل حال لا تستطيع أن تلوم زوجتك لأنها دفعتك إلى مواصلة حياتك السوية .

---

* رواية من تاليف الكاتب الألمانى « توماس مان »

جيروم : ليس هذا ما آخذه عليها . . ولكن هي ، لماذا أصرت على أن تحيا حياة المريضة بعد شفائها !

فيوليت : إنها مازالت هشة جدا ، وقد قلت لي ذلك أنت نفسك

جيروم : هذه الهشاشة ، يبدو وكأنها تتعهدها .

فيوليت : جـيروم !

جيروم : غير متعمدة ، بكل تأكيد . ولكنها لا تضع نفسها أبدا في الظروف التي يمكـن أن تعـود فتصبح فيها امرأة كالأخريات . لقد ارتبطت بتلك الحياة ؛ فلا تستطيع عنها فكاكا . وربما كان الواقع أنها لم تأت هنا هـذه المرة إلا لكي تضع نفسها في حالة ترغمها على العودة إلى هناك ، في الأعـالي .

فيوليت : أنت ترى إذن أنها لا تستطيع احتمال حياة باريس .

جيروم : لو أنها عاودتها بإرادة أن تحتملها ، لو أنها أكـدت لنفسها : لقد شفيت ؛ وسأحيا من الآن فصاعدا كامرأة في صحة جيدة .

فيوليت : ولكنك لا تعلم شيئا عن ذلك فالأطباء لم يدعوا شيئا من هذا القبيل .

جيروم : الأطباء ! وكأنما كانوا على اتفاق فيما بينهم ، وكأنما لا يحدث دائما أن نجعلهم يقولون ما نريد ! . . . وفضلا عن ذلك ، لم يكن ثمة حديث عن الحياة في باريـس . ذلك المنزل التام بالقرب من جزيرة آدم : كان هو الكمال بعينه . على بعد أربعين كيلو مترا من باريس . وكنت أستطيع أن أذهب إليه كيفما شئت . مـنزل

مضيءٌ ، رحب ، ومنظر لا أمل منه أبدا . (ابتسامة من فيوليت .) أؤكد لك ، أنني ما كنت لأمل منه أبدا . لا رطوبة ، والحلم ، أخيرا ، الحلم . إنها لم تكن تريد أن تسمع حديثا عنه . وفي كل رسالة ذريعة جديدة أو هي من السابقة . نوع من سوء الطوية اللاشعورية . . .

فيوليت : من الغريب التفكير في أنه إذا اشترت زوجتك بواشابو.

جيروم : مـــاذا ؟

فيوليت : لا شيء . . الحياة تُدَبّر أحيانا تعادلات غريبـــة ، وتعويضات ، أو بالأحرى سبلا لم نكن نتوقعها .

جيروم : كيـــف ؟

فيوليت : أنت إذن لا تتذكّر ؟

جيروم : أيمكن أن تقصدى ؟ . .

فيوليت : عندما التقينا لأول مرة عند « جان فرانكاستل » ، تحدثت طيلة السهرة كلها عن هذه « البواشابو » . وكنت قد تلقيت من فورك الرسالة التي ترفض فيها زوجتـــك شراءه نهائيا . لم يكن بوسعك أن تفكر في شيء آخـــر . ولم تتكرم علينا بأى تفصيل ، بأية مزية ، بأية راحة . كنت طفلا بحق . وفي كل مرة نريد فيها فتح موضوع جديد للحديث ، كنت تعود فيه إلى « البواشابو » . وأخـــذ القوم يتثاءبون ، وشرعوا يسخرون منك . . .

جيررم : أنت تبالغين .

فيوليت : أما أنا ، فعلى العكس ، لم أكن أعرف لماذا كنت . . . إذن ، فأنت تذكر ؟ بدأت تسترعى انتباهى . وكأنه

كنا وحدنا وسط حشد من الغرباء . وبغير « بواشابو »، لعلنا لم نكن لنلتقى حقـــا .

جيروم : سأصحبك إليها يوما .

فيوليت : كلا، يا جيروم ، فربما أصابنى حزن شديد إذا رأيت ذلك المنزل . لم يكن لى أى مكان في تلك الحياة التى حلمت بأن تحياها ، وربما كانت تلك الحياة هناك غاية في السعادة

جيروم : لا أظن . فلم أعد أستطيع أن أكون سعيدا أبدا مع آريان

فيوليت : لمـــاذا ؟

جيروم : أنت تفهمين ، لقد أردتها بشغف ، وعندما تكـــون موجودة ، أوجه إلى نفسى ضروبا من اللوم كنـــت أتوجه بها إليها . وربما كان ما أخذته منى ، ومارددته أنت الى ، هو ببساطة سكينة النفس .

فيوليت : أنا منحتك سكينة النفس ؟ لم ألا حظ هذا قط . كلا ، لو لم يكن بينكما شيء سوى هذا ، لما كان الأمر خطيرا . ولكن ، هناك شيء آخر ، إن كذبتناهى التى لا تستطيع أن تغفرها لهـــا .

جيروم : الكذب ، أكذوبة ــ هذه كلمات ينبغى ألا ننطق بها مطلقا . وقد يخيل للمرء أحيانا أنك تنتشين بالعذاب .

فيوليت : أنت مخطئ ، فأنا أمقت العذاب . والحزن لم يجعلـــنى أفضل بكل تأكيد ، ولا أعتقد أنه قد جعلنى شريرة ، بل الأحرى أنه يكتم أنفاسى كالقبر ... جيروم ، لو أنك صارحتها بالحقيقة ، أيا كانت النتائج . . .

جيروم : (في عنف) مطلقا . (صمت .)

فيوليت : (في رفق) لمـــاذا ؟

جيروم : لن أجيب حتى عليك .

فيوليت : (في حزن عميق) لا وجود لحاجز آخر بينها وبينك ، وفي اليوم الذى يسقط فيه هذا الحاجز . . .

جيروم : هذا باطـــل .

فيوليت : أنت تعلم جيدا أنها ستصفح عنك .

جيروم : هذه بالضبط الفكرة التى لاأستطيع احتمالها . وفي ذلك اليوم ستبدأ في إثارة التزع في نفسى .. ونحن ، نحـــن الاثنان ، مامصيرنا في تلك الحالة ؟

فيوليت : لن يعود هناك « نحن الاثنان » . سيكون هناك أنت ، وسيكون هناك أنا . . . أو بالأحرى ، أنا مخطئـــة ، سيكون هناك نحن الاثنان ، سيكون هناك دائما نحن الاثنان ، ولكن ، في الذكرى .

جيروم : قلت منذ لحظة ، إنك تختنقين حين تتعذبين ، الن تتعذبى حينذاك ؟ (فيوليت لاتجيب) قوليها إذن ، انك قد سئمت من هذا كله ، وأنت لاتبحثين إلا عن استرداد نفسك ، بأى ثمن ، من يدرى ؟ ربما كانت لديـــــك مشروعات . .

فيوليت : جـــــيروم !

جيروم : بأى حق ألومك على ذلك ؟ لقد حطمت حياتك . .

فيوليت : لقد بدأت فعلا بداية طيبة .

جيروم : لاتحدثيني عن ذلك المخلوق . . . هذه فكرة لم أعـــد

أستطيع احتمالها . وعندما علمت أنه أتى . مثل هـذا المساء : كنت أشعر جيد . كنت واثقا . . . إنه شيء أشبه بمسمار يغوص فيّ . فلا أستطيع له انتزاعا .

فيوليت : هذه . . . هذا الشعور . لاأستطيع الاعتقاد أنك تعانيه حقيقة . بل الأحرى أنها فكرة تكونها بنفسك . نوع من الايحاء الذاتي . فأنت تعلم جيدا أكثر من اللازم من هو « سرج » . والمكان الذى يشغله في حياتي .

جيروم : (في مرارة) حقا . كل منا يتهم الآخر بأنه يخلق على نحوٍ مصطنــع مناسبات للعذاب .

فيوليت : كلا . كلا ، آريانْ . شيء مختلف تماما . . هذا فظيع .

(صمــت)

جيروم : هل كتبتْ إلى أختك بأنها قادمة لرؤيتكما هذه الأيام ؟

فيوليت : أجل . . . أوه ! جيروم لا أود أن ألتقي بهــا ، إنها تخيفني .

جيروم : هذا آخر شعور يمكنها أن توحى به إلى أولئك الذين يعرفونها .

فيوليت : أنت لاتريد أن تفهمني . .

جيروم : أنا أيضا لا أتمنى — في قرارة نفسى — أن تريها ، ويبدو لى أنه بعد كل هذا ، سصبح كل شيء أشد صعوبة .

فيوليت : مادامت في باريس ، فانى أطلب منك ألا تأتى إلى هنا .

جيروم : أين نلتقى إذن ؟ عند جان ؟

فيوليت : هذا الجناح الصغير قد بث الرعب في نفسى — منذ بضعة أيام .

جيروم : لست عاقلة . فأنت نفسك التى خطرت لك الفكرة ، في غياب جان . . .

فيوليت : لست أفهم كيف واتتنى الشجاعة على أن أطلب منها الاذن . . .

جيروم : لقد تكهنت بكل شيء ؛ وشجعت كل شيء .

فيوليت : ثمة لحظات يبدو لى فيها هذا التواطؤ وضيعاً .

جيروم : منذ ربع ساعة وأنا هنا ،ولكنك لم تقولى لى كلمة واحدة على شيء من الرقة . . .

فيوليت : هذا الموقف من القسوة بحيث يمنعنى أحيانا من الاحساس بالحب الذى أحمله لك . . . .

جيروم : (في مرارة) لماذا لاتقولين « من حبك » بكل بساطة ؟

فيوليت : كلا ، ياجيروم ، هذا شيء مختلف تماما . فلو لم أكن أحبك ، لأصبح كل شيء في غاية البساطة .

جيروم : هل تقولينها لى ؟

فيوليت : على الفور ،دون تردد . سيكون ذلك نوعا من الخلاص

جيروم : أنت تتمنين ذلك .

فيوليت : (بصوت خفيض) كلا ، لا أستطيع حتى أن أتمناه . (نسمع في هذه اللحظة ضوضاء الباب الخارجى وهويفتح بمفتاح ، ثم جلبة أصوات .)

فرناند : (من الخارج ، إلى شخص لانراه) إن سلمنا صعب جدا ، والمصعد لايعمل نصف الوقت . آمل ألا يكون صعودنا أسرع من اللازم ؟ (تظهر ، تتبعها آريان ، لاهثة نوعا ما .)

المنظر العاشر

نفس الاشخاص . **فرناند . آريان**

آريان : بيتكما ساحر ! أى رحابة . وأى نور ! (تذهب إلى النافذة وتطل منها .)

فرناند : نحن لانشاهد سوى مداخن المصانع . ولكن على الأقل يوجد بعض الهواء . هذا حق .

آريان : (تلتفت إلى فيوليت) صباح الخير . يا آنسة . ماأسعدنى بالتعرف عليك أخيرا ! منذ ان سمعتهم يتحدثون عنك ! (إلى جيروم) صباح الخير . ياعزيزى . انبأتنى الآنسة مازارج أننى سأجدك هنا .

جيروم : أجل . أنا . . .

آريان : (تقاطعة . وكأنما لكيلا لاتسمح له باظهار ارتباكه.) هذا من قبيل الحظ . معى السيارة . واذا أردت أن نعود معاً . . أو بالأحرى كلا ؛ لقد فكرت مليا . . . قل لفيكتور أن يذهب بك حيثما تشـاء ؛ سأستقل الأوتوبيس .

فرناند : من هنا . المترو أكثر راحة . . .

آريـان : مستحيل . نقص التهوية يُمْرِضنى . .

فرناند : أفهم ذلك . كنت مثلك في الأوقات الأولى .

آريان : (إلى فيوليت وإلى جـيروم) علمت من « جـان فرانكـاستل » أنكمـا التقيتما عندها (إلى جيروم) ولكنك لم تقل لى شيئا عـن ذلك اللقاء ؛ عـلى سبيل الكتمان ! (إلى فيوليت) لو استطاع جيروم أن يمد لك

يد المعونة ، لأسعدني ذلك أشد السعادة . أنا أشك فيما يمكن ان تكون عليه مهنة العازفة البارعة .

فيوليت : أوه ! لستُ عازفة بارعة ، ياسيدتي . .

آريان : مؤدية ، إذا شئت . (إلى جيروم) لاشك أنك تعرف كثيرا من الشخصيات . في إدارات قاعات الحفلات الموسيقية . . .

جيروم : أنت مخطئة في هذا ، لا أعرف أحدا على الاطلاق .

آريان : ومع ذلك ، فإن ناقدا . . .

جيروم : ثمة أوهام كثيرة تراودك عن مزايانا . . خارج البطاقة الحمراء . . .

آريان : ما البطاقة الحمراء ؟

جيروم : بطاقة الاعفاء من الضرائب .

آريان : هذه مسألة لاتثير الحماس .

جيروم : ومع ذلك ، لايمكن ان نتجاهلها .

آريان : مفهـــوم .

جيروم : جئت فحسب لكي أعرض على الآنسة مازارج صوناتا لروزنمولر نُشرت حديثا في المانيا . .

فيوليت : (بصوت شاحب) تبدو جميلة جدا . .

آريان : ألديك اشتراك مناسب للموسيقى ؟ الموسيقى الآن باهظة الثمن . ففي الماضي كنت أشترى كل شيء ؛ وهذا شيء لم يعد ممكنا . غير أنني وجدت دارا في بال مجهزة تجهيزاً يدعو إلى الاعجاب . إنها تمدني بالبريد بكل ماأطلبه .

واستطيع أن أعطيك عنوانها . وهذا يكلفنى خمسين من الفرنكات .

جيروم : السويسرية . أى ما يعادل مائتين وخمسين فرنكا فرنسيا، بالاضافة إلى الجمرك الذى يكلف هنا حبة العين .

اريان : أنت على حق ياعزيزى . فأنا تعودت عـــلى الحساب بالفرنكات السويسرية بحيث لم أعد أفكر في أننى أفعل ذلك .

فرناند : لابد أن الحياة هنا تبدولك رخيصة .

آريان : لم أشعر بشيء من ذلك . فأنا أبدأ دائما — على العكس — بالفزع من ضخامة الارقام ، ثم عندما أمعن الفكر . . . (إلى جيروم) أصغ إلىّ ياعزيزى ، اثناء التفكير في هذا ، سأطلب منك خدمة . ارجو أن تكون من اللطف بحيث تذهب إلى « برونييه » لكى تحضر لنا « جنبرى » سيأتى فيليب للعشاء ،وأنا أعلم أن شيئا لايمكن أن يسرَّه سروزا عظيما أكثر من الجنبرى . (إلى فيوليت وفرناند) أخى يتصف بشراهة أعجب بها وأحسدها . وينبغى أن أقول لكما انى أتبع نظاما قاسيا في الأكل أعيش فيه على المكرونة والبطاطس المسلوقة . (تَعجّب متعاطف من فرناند .) ومن حين لآخر اسمح لنفسى بمخالفة أدفع ثمنها على الفور .

فيوليت : لمـــــاذا ؟

آريان : أعتقد انه لاينبغى أن يكون المرء مرهف الضمير أكثر من اللازم . فالضمير الذى يتجاوز نقطة معينة ، يكاد أن يكون رذيلة . . أرجو ألا أكون قد صدمتك .

جيروم : نستطيع الاتصال تليفونيا ببرونييـه . .

آريان : الوقت متأخر جدا ، وهم لن يحضروا لنا الجنبرى في الوقت المطلوب . أيزعجك هذا كثيرا ؟ . . شكرا ، أنت لطيف . بسرعة ، ياعزيزى . (يقول جيروم « إلى اللقاء » للسيدتين في ارتباك تام ، تصحبه فرناند .)

المشهد الحادى عشر

آريان ، فيوليـت

آريان : أحب أولا أن تعطينى أخبار ابنتك الصغيرة . بل آمل أن تسمحى لى بتقبيلها . أنت تعلمين أننى أعبد الأطفال ، وهـذا واحـد مـن أحزاننا الكـبيرة ، جيروم وأنا . . .

فيوليت : (بصوت مكتوم) ولكن . . . ربما لم تصدر الكلمـة الأخيرة بعد .

آريان : لسوء الحظ أننى اجريت منذ ثلاثة أعوام عملية لاتسمح لى بالأمـل في أن يكون لنا اطفال . . . أكان من المؤلم لك أن طلبت منك أخبار الصغيرة مونيك ؟

فيوليت : أتعرفين اسمها ؟

آريان : أخبرتنى به شقيقتك . . . وقصت عـلى كل شيء ، وأرجو ألاتفترضى – وفي هذا إهانة لى – أننى سأحكم على هذا كله بطريقة تقليدية ؟ بل على العكس من ذلك تماما .

فيوليت : كنت متأكدة . . .

آريان : والدتي تنتمي إلى مايسمى الجمعية البروتستانتية العليا . وكانت انسانة تتحلى بفيض من الفضائل ، بل وتبعث على الاعجاب من بعض النواحي . وكان الانجيل غذاءها اليومي حقا . ومع ذلك لم أعرف أحدا مثلها يدفع إلى التقليل من حب – لا أقول المسيحية – بل ماكانت تدعوه هي نفسها بالأخلاقية .

فيوليت : المسيحية والأخلاقية ، اظن أنهما شيئان لاشيء واحد .

آريان : لاشك أنك على حق . ظللت فترة طويلة لا أعرف التمييز جيدا . .

فيوليت : لماذا أطلق عليك والدك اسم آريان ؟

آريان : انها فكرة فريدة ، أليس كذلك ؟ اسم من الصعب حمله حقا . والدى وحده هو المسئول عن ذلك . فلقد ولدت بعد بضعة أيام من العرض الأول لمسرحية « آريان واللحية الزرقاء »* ، وهو عمل أحبه والدى على الفور بحرارة وافراط . وأعتقد أنه يتجاوب عنده مع تجربة حميمة إلى غير حد ، وعميقة ، ولكنه لم يفض بها إلىّ أبدا . وليس من شك أنه خشي أن يسبب لى حزنا لاجدوى منه ، وسابقا لأوانه على كل حال . ظننت أن أحلاما انسانية عظيمة راودته لحظة من اللحظات ، ولكن آماله خابت . . . وكان يطالب دائما بأن ينادونى باسم آريان، غير أن والدتي كانت تدعونى باسمي الآخر سيسيل اسم مريح : هو اسم جدتي .

---

* Ariane Et Barbe Bleue واللحية الزرقاء كناية عن قاتل زوجاته واحدة بعد الأخرى .

فيوليت : إن لك على الأقل اسما بديلا ، أما أنا فأقل منك حظا ، واسم فيوليت يثيرنى إلى أقصى درجة . ولست أدرى تفسيرا لهذا الاختيار المضحك إلى حدما .

آريان : لو أنك عرفته ، فلن يبدولك مضحكا بكل تأكيد . من يدرى ، لعل فيه تلميحا إلى شيء، غير مفهوم بالنسبة لك ، إلى حكاية بسيطة ، موجعة ؟

فيوليت : أشعر بشيء من الألم حين أفكر في ذلك . فقبل مولدى كان والداي متخاصمين ، كان بينهما تنافر مطلق ،

آريان : كم أشفق عليك !

فيوليت : كم أشفق عليك !

فيوليت : أحيانا ، تكون أمى هى التى تتخذنى شاهدة على أخطاء ارتكبها أبى نحوها ، وأحيانا اخرى . . آه ! لستادرى حقا كيف حدث أن أقص عليك هذا كله ، فأنا لم أفض به قط لإنسان .

آريان : (برقــة) ثم ؟

فيوليت : هذا شذوذ .

آريان : لا أراه كذلك . لأنه في الواقع ... (تتوقف) تصورى انى عرفت ذات يوم والد الصغيرة مونيك، كنا زميلين في مدرسة « النورمال » للموسيقى في بدايات دراستنا هناك ، والشيء الفريد هو أننى خلال بضعة أسابيع أو بضعة شهور — لست أدرى — اعتقدت أننى مُغرمة به .

فيوليت : أنت ؟

آريان : إلى درجة النحيب مساء في فراشي طيلة ساعات .

فيوليت : ما أغرب هذا !

آريان : أليس كذلك ؟ وكنت على وشك التصريح له ، ثم لا أدري بالضبط ما حدث ، كيف أقول لك أحسست أن هذا مستحيل .

فيوليت : كان من المحتمل أن يتزوجك . وكان من الممكن أن تكوني تعسة تعاسة رهيبة .

آريان : بل لست متأكدة تماما من أنني فكرت قط في اتخاذه زوجا . وقبل أن يداهمني المرض ، لم أكن أفكر إلا في تحدى ما كنت أدعوه بالرأي العام . كان ذلك صبيانيا إلى أبعد حد . ومنذ ذلك الحين شغلتني مشاغل أخرى .

فيوليت : ولكن متى التقيت ....

آريان : بجيروم ؟ لا أستطيع أن أقول إنني التقيت به قط ، فقد نشأنا معا ، وكانت عائلتانا متعارفتين دائما وأبدا . وحين اشتعلت تلك الشعلة في قلبي لسرج فرنشار ، كان جيروم في أكسفورد .

فيوليت : أعند عودته من انجلترا ، أحسست بأنك تحبينه ؟ .

آريان : أجل ، هذا جائز . (صمت) وبعد بضعة شهور . أو ربما بعد بضعة أسابيع فحسب ، رويت له هـذا كما يتحدث المرء عن مرض ، أو عن نوبة من الحمى . كان ذلك فوق بحيرة « لوجانو » ، على ما أذكر ، وفي خلال تلك النزهة حددنا موعد زواجنا .

فيوليت (مضطربة) لماذا تخبرينني بهذا كله ؟

آريان : (دون أن تجيب) وهناك ، في الأعالى ، طيلة ذلك الشتاء ، فكرت فيك ، دون أن يكون في امكانك الشك في ذلك ، منذ أن زارتنى « جان فرانكاستل » في عيد الميلاد . انها تكن لك حبا صادقا .

فيوليت : أتعتقدين ذلك ؟

آريان : أيدهشك تأكيدى لهذا ؟

فيوليت : جان واحدة من أولئك الأشخاص .... كلا ، عفوا .

آريان : أكملى .

فيوليت : الذين يمكن أن يكون ما يثير فضولهم لمعرفة الآخرين وهما لا أساس له . وكان لدى دائما الانطباع بأنني أثير اهتمامها . وانى لأتساءل لماذا ؟

آريان : (بصوت خافت) لا يبدو لى لى ذلك شيئا غير مألوف . كانت تحتفظ معها بصورتك ، وقد أرتنى إياها .

فيوليت : لا أفهم ....

آريان : لم تكن سوى صورة عادية جدا التقطها هاو ، غير أن نظرتك استرعت انتباهى كثيرا . نظرة انسانة موسيقية . وبهذه المناسبة أرجو أن أطلب منك ... خدمة كبيرة . خلال الاقامة القصيرة التى سأقضيها هنا ، أحرص حرصا شديدا على أن أتلقى معك دورسا في المصاحبة . لقد صدئت قليلا ، ولكننى كنت ذات يوم أعزف عزفا لم يكن شديد الرداءة .

فيوليت : (منذهلة) ولكن

آريان : أفى هذا ما يزعجك ؟ إننى في مرحلة من تلك المراحل

التى تصبح فيها الموسيقى ضرورة حيوية . ففى باريس . باريس ، كنت أعانى جسمانيا ومعنويا أيضا ، فقدت القليل من القوى التى جمعتها في كثير من العناء أثناء مقامى في الجبل . وفي مثل هذه الحالات . تساعدنى الموسيقى — إن صح هذا القول — على أن أعيد تكوين نفسى .

فيوليت : ولكن ألا تستطيعين .... ؟

آريان : أن أعزف بمفردى ؟ أجل . مفهوم ، ولكن بالنسبة لى المسألة ليست على هذا النحو تماما . أولا . حين أعزف منفردة . أنوم نفسى تنويمـــا مغناطيسيا عن كل ما هو تقريبى وقاصر في أدائى ، وهذا بالنسبة لى مدعاة للحزن وتثبيط الهمة ... ثم ، كيف أقول ؟ إن ما أحبه قبل كل شيء هى موسيقى الكونشرتو . كلمة بديعة أليس كذلك ؟ إنها تترجم تجربة من أشد التجارب التى عرفتها إثارة .. عزفت كثيرا من الصوناتات هناك في الأعالى مع صديقة مجرية شابة توفيت في الخريف الماضى . وكان فقدانها مدعاة لحزنى العميق . وظللت أسابيع طويلة لا أستطيع الاقدام على فتح البيانو .. ولكننى أشعر أننى معك — ومعك فحسب — سأملك الشجاعة للبدء مرة أخرى .

فيوليت : ولكن لماذا معى ؟

آريان : أنا لا أحب كثيرا كلمة حدس . فقد ابتذلها الناس أكثر من اللازم ؛ ولكنها الكلمة الوحيدة التى تناسب نوع اليقين الذى يهبط أحيانا بغتةً علىّ . إنه أكثر من

فكرة . ضرب من الاستحواذ .

فيوليت . أنا أرى هذا شيئا مخيف . (تقترب آريان من البيانو . وترفع الكراسات المكدسة فوقه .) عم تبحثين ؟

آريان : عن صوناتا روزنمولر التى أحضرها جيروم .... (حركة من فيوليت .) كلا . أصغي إلىّ . تحدثت إلىّ عن ظروفك . إنها ستكون ظروفي أنا .

وأرجوك بالحاح ألا تكونى متحفظة أكثر من اللازم . أنا أعلم صعوبة الحياة .

فيوليت : (منسحقة) أرجوك . لست ...

آريان : ألا تريدين إسداء هذه الخدمة العظيمة إلىّ ؟ آه ! هذا ما كنت أبحث عنه . الكراسة الأولى لصوناتات باخ . أيضجرك كثيرا أن نعزف واحدة منها فوراً ؟

فيوليت : (يزداد ارتباكها أكثر فأكثر) أليس الوقت متأخرا جدا ؟

آريان : لا أهمية لذلك بالنسبة لى ، أنا أعرف أخى ، فهو لن يكون في المنزل قبل الساعة التاسعة .

فيوليت : ولكن ، لم هذه العجلة ؟ أنا لست متهيئة على الاطلاق .. وكنت أحب أن أعيد النظر إلى هذه الصوناتات قبل ..

آريان : أنت تمزحين .

فيوليت : لا أعتقد أنها فكرة طيبة ، هذا ما أؤكده لك ... تلك الحدوس .... ظننت أنها تأتى إلىّ أحيانا أنا أيضا ... أنت لا تعرفينى على الاطلاق .

آريان : أفضل كثيرا مما تظنين . (تتناول فيوليت الكمان ،

خضوعا لنوع من الافتتان لا يقاوم . وتجلس آريان إلى البيانو ، وتفتح الكراسة .) مارأيك لو عزفنا هذه ؟

فيوليت : (بصوت يكاد ألا يكون متميزا) إذا شئت . (تبدأ في عزف الصوناتا من مقام «مى» كبير ، وتتوقف بعد أن تعزف عدة مازورات ، وكأنما يهزها نشيج لا سبيل إلى قهره . تتوقف آريان بدورها وقد استولت عليها الدهشة ، تستدير ، وتنهض ، وتتناول الكمان والقوس في رفق من يدى فيوليت ، وتضعهما على البيانو .)

آريان : لماذا تبكين ، ياعزيزتى ؟

فيوليت : هذا شيء لا يحتمل .. لا أستطيع ...

آريان : (في عذوبة عميقة) لم تفهمى إذن أننى أعرف كل شيء

فيوليت : (في ذهول) تعرفين ؟

آريان : منذ عدة أيام ، لم يعديساورنى أى شك .

فيوليت : ولكن جيروم ...

آريان : (في حزم) ينبغى ألا نتحدث عن جيروم ، وينبغى أن يبقى كل هـــذا بيننا .

فيوليت : مستحيل .

آريان : جيروم طفل ، وقد نلحق به كثيرا من الأذى .

فيوليت : عندما يكتشف أنك تعرفين الحقيقة ، لا أتصور ... يمكن أن يحدث أسوأ شيء . قد يرحل ، أو ربما ...

آريان : جيروم لن ينتحر ، ولن يرحل ، ولن يكتشف شيئاً . كل هذا يتوقف علينا ستّرين : ستّرين . (في هذه اللحظة ، تفاجأ فرناند بأنها لم تعد تسمع الموسيقى ، فتفتح الباب . إلى فرناند .) لم نكن على اتفاق تام عن الحركة ، أمن الممكن أن تستأنفي العزف يا آنسة ؟

الفصل الثانى

(عند آن ليبريير . الســاعة الثانية بعد الظهر . ينبغى أن يُعْطى داخل المنزل بتناصيله انطباعا بالعناية ، بل بالذوق الرفيع .)

المنظر الأول

آريان ، فيليــب

(فيليب يدخن ، يقطع تدخينه بين حين وآخر ليحتسى بضع جرعات من الشراب . آريان متمددة فوق كرسى طويل (شيزلونج) ، عيناها مغمضتان .)

فيليب : لم تحدد بعد موعد رحيــلك ؟

آريان : كلا ، ليس بعد .

فيليب : يبدو لى أنك تتحملين باريس خيرا من العام الماضى .

آريان : ينبغى ألا تراودك أية أوهام ، فأنا أعيش على أعصابى .

فيليب : ثم ؟

آريان : عندما أعود إلى لونيي ، سيكون الأمر مثلما كان في المرات السابقة : انهيار تام .

فيليب : (في هدوء) في هذه الحالة ، لماذا تعودين إليها ؟

آريان : أأنت جاد ؟

فيليب : جاد كل الجد . أنا مقتنع أنها صفحة ينبغي أن تعقدى عزمك على طيها .

آريان : لا أفهم ما تعنيـــه .

فيليب : فلنفترض أن الجتيان « أجر . أوبيع ؛ أو احترق ؛ من يدرى ؟ وأنك لم تعودى تستطيعين السكنى فيه . .

آريان : سأذهب إلى مكان آخر .

فيليب : وأنك لا تستطيعين أيضا الذهاب إلى مكان آخر ، ماذا سيحدث ؟

آريان : سؤالك يخلو من كل معنى .

فيليب : تعتقدين ذلك ؟

آريان : ستعاودنى النكسة بأسرع ما يمكن ؛ وسأرقد في فراشي أعواما طويلة ، دون حول ولا قوة .

فيليب : أطبيبك هناك في الأعالى هو الذى أكد لك ذلك ؟

آريان : لم أعد أتردد على طبيب ....

فيليب : إذن ؟

آريان : إنى أعرف نفسي ؛ وقد دفعت ثمنا غاليا من أجل ذلك .

فيليب : ولكن مع ذلك ، إذا فرضنا المستحيل وكنت مخطئة ... ذلك عناء التجربـــة ؟

آريان : أية تجربة ؟

فيليب : العودة ببساطة إلى حياة سوية .

آريان : لا يخلو الأمر من مخاطرة أشكرك .

فيليب : ولكن التجربة الأخرى — تلك التى اختبرتها — هل

تخلو هى أيضا من المخاطر ؟ أصغى إلىّ ياآريان ، لم ننعم بعد بلحظة هدوء منذ وصولك ، كان زوجك هناك أو كانت هناك واحدة ممن تظلينهن بحمايتك . .

آريان : فيليب . أنت تعرف أنني أفزع من تلك الكلمة .

فيليب : عاهدتُ نفسى أن أفضى إليك بجوهر تفكيرى .

آريان : لا انصحك بالاستمرار في هذا الموضوع .

فيليب : لماذا ؟

آريان : أنت تشعر جيدا بأنك لا تستطيع أن تعلمنى شيئا ،لقد أمعنت الفكر منذ أمد بعيد في كل ما يمكن أن تقوله لى .

فيليب : ومع ذلك ثمة أشياء لاتستطيعين معرفتها .

آريان : أية أشياء ؟

فيليب : أنا لا ألمّح في هذه اللحظة إلى واقعة محددة، هل جيروم على علاقة أم لا ؟ لا أدرى ، وهذا شيء لا يخصنى ولكن . ما قررته ، وما يبدو لى خطيرا . هى حالة الحزن والاكتئاب التى يحيا فيها ذلك الفتى عندما تكونين غائبة . هذا دون الحديث عن بعض المسائل المادية التى يشق على نفسى التعرض لها .

آريان : ماذا تقصد ؟

فيليب : أنا أجهل التزاماتك ، ولكن ، لا أدرى إن كنت قد ضمنت له إيرادا .

آريان : أنت مجنون !

فيليب : إنه مع ذلك الحل الأمثل . بيد أن ما يصدمنى ، هو روح الاقتصاد القريبة من الشح التى يبديها في كل

مناسبة . ماذا أعلم ؟ في المسرح . في المطعم عندما ندخله مصادفة معا . في الطريقة التي يلبس بها . هذا مؤلم للغاية .

آريان : ولكنني منذهلة . . . لا حظت جيدا أن صوان ملابسه غير كاف ، وفي حالة سيئة . ولكن عزوت ذلك إلى الإهمال . وإلى التهاون

فيليب : (بلهجة قاطعة) كنت مخطئة . جيروم يذكرني بأولئك الطلاب الذين يسكن أهلهم في الأرياف . والذين يسائلون أنفسهم في قلق كيف يمكن أن يكفيهم مصروفهم الشهري الهزيل .

آريان : هذا شيء لا يمكن تصوره . جيروم يحتفظ بدفتر شيكات وهو يعلم جيدا . . .

فيليب : إذا أردت أن أفضي إليك بمكنون نفسي : جيروم لا يشعر بأنه متزوج . إنه يشعر بأن هناك صديقة بعيدة تتكفل به ، وهذا الشعور لا يسره . ولو كنتما تعيشان معا . لكان الأمر جد مختلف . . . آه ! أنا لا أقول إن هذا منطقي تماما . ومع ذلك فانه مفهوم جدا .

آريان : لم يقل لي قط شيئا عن هذا من قريب أو بعيد . . .

فيليب : حقا ! هذا شيء من المحتمل جدا ألا يعترف به لنفسه. (صمت) عفوا إن كنت أبدو لك فظا . ألم تفكري قط في أنه ربما كان من واجبك أن تردي له حريته ؟

آريان : عجبا . أنت تعلم جيدا أنه قد انقضت أربع سنوات. .

فيليب : آريان ، كوني حسنه الطوية : في تلك اللحظة لا أحد كان يدري إن كنت ستشفين من مرضك ؛ أمن الممكن

ـ إنسانيا ـ بالنسبة له أن يفكر في الطلاق أو حتى في الانفصال في مثل تلك الظروف ، ولكن اليوم ، وقد تحسنت صحتك بوجه عام . . مازلت هشة ، هذا مفهوم . انها حالات الآلاف من الأشخاص الذين لا يملكون الوسيلة لقضاء تسعة أعشار أيام حياتهم على ارتفاع ١٨٠٠ مترا . أما بالنسبة لى فالموقف من أوضح المواقف : إذا كنت لا تستطيعين اتخاذ قرار باستئناف حياة عادية ـ وأنا أعود دائما إلى هذه النقطة ـ فيجب عليك أن تدفعى جيروم إلى فصل حياته عن حياتك . وربما إلى تأسيس بيت جديد .

آريان : يا لها من حماقة ! أولا ، أنت تعرف تمام المعرفة أنه لا يملك أية ثروة شخصية . ومايكسبه من نقده ليس هو الذى يسمح له بالبقاء . واذا كان هو حقا الكائن النفور الذى تصفه ؛ فهل تتخيل مثلا أنه سيتركنى أساعده ماديا ابتداء من اللحظة التى نحصل فيها على الطلاق ؟ ولكن . مهما قلت ، فان المسائل المالية بالنسبة لشخص كجيروم ، مسائل ثانوية تماما . . .

فيليب : لست في هذا واثقا مثلك .

آريان : إن ما يفوتك تماما . هو طبيعة علاقتنا . (بصوت متهدج) ثمة أسرار لاحق لى في الافضاء بها إليك . . . ولكن تستطيع أن تفكر ، أنه لم يحدث مطلقا ، حتى قبل مرضى ، وحين كنا نحيا حياة سوية ، تلك الحياة التى تتحدث عنها دون انقطاع ، لم يحدث مطلقا . . .
(تتوقف .)

فيليب : أينبغى أن أفهم أنه حتى في ذلك الوقت لم تكونا زوجا وزوجة ؟

آريان : فيليب !

فيليب : كنت أعتقد العكس . ولكن : ها أنذا أتذكر ، وقع لك حادث بعد بضعة أشهر من زواجك ! . . . إذن ؟

آريان : ما أستطيع أن أؤكده لك . هو أن جيروم في حاجة الىّ ، وأنى أستطيع — حتى من بعيد — أن أعطيه مالا يستطيع إنسان في العالم أن يمنحه إياه .

فيليب : فليكن ، ولكن : إذا كنت تقولين الحقيقة ، أحينما تعيشين معه . . .

آريان : ولكن كلا ، سيكون في هذا هلاكنا . (ثمة من يقرع الباب) ما هذا ؟

(تدخل الوصيفة .)

الوصيفة : سيدتى ، إنه سيد وسيدة يقولان إنهما على موعد مع سيدتى . (تتناول آريان بطاقة زيارة .)

آريان : شكرا . (إلى فيليب) إنهما آل فرنشار . ولكن لم أكن أظن أنها ستأتى هى أيضا .

فيليب : آل فرنشار ؟

آريان : عازف البيانو الذى كان معى ذات يوم في « مدرسة النورمال » .

فيليب : لا أتذكر .

آريان : (إلى الوصيفة) ادخليهما من فضلك ، يا إليز . .

الوصيفة : سمعا وطاعة يا سيدتى . (تخرج .)

المنظر الثانى

نفس الأشخاص : سرج ، سوزان

سرج : صباح الخير يا سيدتى ، سمحت لنفسى بالمجىء مع زوجتى التى كانت تود التعرف عليك . .

آريان : هذا لطيف جدا . . . أنا سعيدة بمعرفتك يا سيدتى . .

سوزان : تحدث إلى سرج كثيرا عنك في هذه الأيام الأخيرة ، وكان في غاية من السعادة حين التقى بك مرة أخرى عند فيوليت . (حركة من آريان .)

آريان : اسمحالى أن اقدم إليكما أخى .

سرج : سعيد جدا : يا سيدى .

فيليب : من تكون فيوليت ؟

آريان : الآنسة مازارج : عازفة كمان موهوبة أتلقى معها دروسا في المصاحبة .

سوزان : أنا سعيدة بالاستماع إليك يا سيدتى . أنا أيضا أرى أن فيوليت تعزف عزفا رائعا ، أما زوجى فيرى العكس .

سرج : لم أقل إلا أن عليها أن تجتهد أكثر .

سوزان : ينبغى أن تتذكر أنها تحيا حياة عسيرة كل العسر . . .

سرج : ليست أشد عسرا من جمهرة الفنانين .

سوزان : كيف يمكنك أن تقول هذا يا سرج ؟ أولا ، هى لا تتمتع بصحة جيدة ، ثم إن عليها أن تعول اختها ، وأخيرا ، الصغيرة . . .

آريان : ويبدو أن الطفلة – لسوء الحظ – رقيقة الصحة إلى حد ما

سوزان : كنا نريد أن تفعل المزيد . ولكننا نجتاز مرحلة شديدة العسر . (يزداد غضب سرج ظهورا من لحظة الى أخرى .) من الطبيعى أنك تعرفين الموقف يا سيدتى ؟

آريان : (محرجة) أجل ، اعرف . . .

سرج : ســوزان !

سوزان : لست أرى لماذا نجعل من ذلك سرا غامضا . ؟

آريان : ولكن ، لا أظن أن أختى على احاطة بالموصوع .

سوزان : حاولت دائما في مثل هذه الظروف الأليمة أن أتصرف بطريقة . . . غير تقليدية ، أنت تفهمين . .

آريان : أجــل .

سوزان : وكانت فيوليت رائعة . فقــد ساعدتنى كثيرا وسرج لا يستطيع تقدير ذلك ومع ذلك فأنا لا أحقد عليــه ، إنه كما هو . بالطبع ، لو لم تكن الصغيرة موجودة ، لما استطعنا ان نعرف . . . نحــن لا نلتقى كثيرا ، لأننى بالطبع أخشى . . . وليس هذا على كل حال لطيفــا بالنسبة لها ، هذا مفهوم . . . ولكنها لم تطلعنى على شيء قط . . . وما كان من الممكن – في مكانها – أن تكون الكثيرات على هذه الأناقه . (ينهض سرج ، ويــذرع الغرفة جيئة وذهابا .) كم أنت عصبى ، يا صديــقى المسكين ؟

آريان : هذا الموقف أليم ، على كل حال .

سوزان : ولكنها غلطــة من ؟

سرج : (هائجا) هذا مفهوم ، أنا إنسان لاوعى له ، فظ ، نذل

آريان : حسبك : أرجـــوك . . .

سرج : هذا شيء غير معقول . . الحماقه إلى هذه الدرجة ! . .

سوزان : أية حمـــاقة ؟

سرج : لست أدرى : أنا : هذا شيء غير عادى . . .

سوزان : ولكن ماذا قلت ؟

سرج : منذ أن دخلنا : لم تتفوهى بكلمة واحدة الا وكانت في غير موضعها . جارحة : وضيعة . . أوه ! هذا دون ارادة ، إنها لا تفعل ذلك عمدا . إنما يصدر عنهابالسليقة هذا لون من التخصص : والنتيجة انها تنشر الفـــراغ حولنا ، الاصدقاء لم احظ بهم اطلاقا ، أما الزملاء ، فانهم يلوذون بالفرار .

آريان : ولكن يبدو لى أنك تبالغ كثيرا ، لقد عرفت تـــلك الظروف : كل ما في الأمر أن السيدة فرنشار أَبْدت ثقتهـــا .

سرج : لماذا حرصت على مرافقتى ؟ (إلى فيليب) سيدى ، لست أدرى إن كنت متزوجا . . .

آريان : إن أخى مُطَلّق .

سرج : فاهـــم .

خوزان : (في حدة) أما نحن . فأضمن لك في كل الحالات، أنه لن يقع بيننا طلاق : أولا ، لأن هذا ضد الديـــن ، ثم لأننى لا يمكن أن أصنع ذلك لأمى . . .

سرج : (في سخرية) ستحرمك أمك من الميراث .

سوزان : (مُهانة في الصميم) هذا مقزز . . . (إلى آريان) ينبغى أن أصارحك بان أمى وضعت كل مدخراتها عند رجل من رجال البنوك فرّخفية في شهر فبراير . وهى الآن تعيش عالة علينا . أوه ! إنها تساعد في أعمـــال البيت ، ثم إنها مسئولة عن المطبخ .

سرج : فلنتحدث عن مطبخها .

سوزان : ليس خطؤها أن لك معدة سيئة .

سرج : إنها هى التى أفسدتها علىّ .

سوزان : عندما تزوجنا كنت تقــول أنت نفسك أنك لاتهضم لا الكرنب ، ولا الباذنجان ، ولا . . .

فيليب : (الذى نهض) أرجو المعذرة ، تذكرت أن هناك خطابا مستعجلا ينبغى أن أكتبه . (إلى آريان) أأستطيع أن أقيم في مكتب جيروم ؟

آريان : بكل تأكيد . ولكن لا تأخذ قلمه الحبر ، هذا كل ما في الأمر ... فليس من حق أحد أن يستعمله .

فيليب : ربما عدت إليكم في الحال . (يخرج بعد أن يحيى .)

المنظر الثالث

آريان ، سرج ، ســوزان

سرج : ترى ماذا سيظن أخوك بنا ؟

آريان : لا تخش شيئا ، سأشرح له كل شيء

سرج : أرجو أن تصفحى عن زوجتى ، فليس لها أية سيطرة على نفسها .

آريان : أهذا عيب ؟

سوزان : ظننت أنه مادام هذا السيد أخاك .. أنت نفسك — لست أدرى ، توحين للمرء بثقة . . .

آريان : (متابعة تفكيرها) في كل مرة أحضر إلى باريس ، ألاحظ حتى في عائلتي نفسها — أن الناس لم يعودوا يحاولون تمالك انفسهم ، وكأنما أصبح ضغط الحياة أقوى من اللازم ، فلا سبيل إلى احتماله ، ولهذا تنفطر القلوب .

سوزان : ما تقولينه حق ياسيدتي . . .

آريان : وهناك في الأعالي، عندى ، لا أرى تقريبا سوى مَرْضَى

سوزان : أنت طيبة جدا ، أنت تكرسين نفسك إلى درجة ....

آريان : إن حالتهم مختلفة نوعا ما . فهم — على الرغم من كل شيء — أكثر أمناً . وأكثر حمايةً ، ومرضهم نفسه نوع من الستار بينهم وبين الأحداث ولكن هنا . . . أنت عرضة لكل القوى ، ولكل التيارات الرهيبة التي تجتاح العالم : أنتم بلا دفاع .

سرج : (بصوت مكتوم) الشيء المؤكد ، هو أنني لن أصمد طويلا .

سوزان : لا تستمعى إليه ، إنه افضل مما كان قبل زواجنا . لم يصب بالبرد مرةً واحدة في الشتاء .

سرج : لماذا يشق الانسان على نفسه بالصراع ؟ إن اللعبة لاتستحق شروْ نقير .

سوزان : وأنا ، ما مصيرى ؟ أنا أحب الحياة ياسيدتى ، أهذه جريرة ؟

سرج : ذوق عجيب !

آريان : (إلى سوزان) بل — على العكس — أنت على صواب ، فحياتنا ، هى في نهاية الأمر — ما نستحق أن تكونه .

سرج : أحتج . فأنا لم أستحق هذه المذلة . . .

سوزان : وماذا هناك من مذلة ؟

سرج : فيوليت تحتقرنى .

سوزان : ليس هذا صحيحا . .

سرج : أنا متأكد من ذلك . وهناك أشياء أخرى .

سوزان : قلها إذن ، يبدو أنها من ناحيتها هى نفسها . . .

آريان : (مقاطعة لها) اسمحى لى بأن أقاطعك . إنى أحمل — لفيوليت مازارج أعمق التعاطف . فهى طبيعة جميلة ثرية . (صمت)

سرج : (في انهيار) هذه هى الحقيقة . وما رأيك في أختها ؟

آريان : من الصعب علىّ أن أجيبك . تراسلنا كثيرا فترة من الزمن . ولكن كان لدىّ دائما انطباع بأنها تسعى في رسائلها إلى اتخاذ نبرة مصطنعة تعتقد هى بلا شك أنها لا بد أن تعجبنى . ولأننى أستطيع أن أسدى إليها بعض الخدمات : تظن أنها مرغمة على متابعتى في مستوى تعتقد هى أنه مستواى ، فلنقل — إذا شئت — مستوى من الروحانية السامية .
غير أن كلماتها لم تكن ترن رنينا حقيقيا .

سرج : إنها امرأة شرسة ؛ لم أستطع قط استساغتها .

آريان : اعتقد على الأخص أنها ضحية . وأنا أطلب منك ألا تحكم عليها .

سوزان : انت رائعة .

سرج : إنها لم تلحق بك أىّ ضرر . .

آريان : (في عمق) أأنت واثق من ذلك ؟

سوزان : أنت لا تعرف شيئا . .

سرج : على حين أنها كانت تسحقنى باستمرار وتلميحات جارحة .

سوزان : أنت مرهف الحس أكثر من اللازم . ثم ، إنى أفهم — على كل حال لماذا كانت تحقد عليك .

سرج : لأى سبب ؟

سوزان : ربما كانت فيوليت — لولاك — مستقرة في وقتنا الحاضر.

سرج : مستقرة ! راسخة !

سوزان : نحن النساء ، نحتاج إلى الأمن ، أليس ذلك طبيعيا ؟

سرج : تحدثى عن نفسك .

سوزان : هى أيضا . كالأخريات . .

سرج : أقسم لك بأننى لم اغرر بها . لم أكن أريد ، ورأيت أنه لم يكن من حقى . . . وبعد أن حدث ذلك ، لا يستطيع إنسان أن يعرف ضروب اللوم التي نحيتُ بها على نفسى ،

آريان : (بلهجة تدل على العكس) ولكننى لست في وضع يؤهلنى لتلقى كل هذه الاعترافات .

سرج : لم أحضر عندك عندك إلا لكى أتحدث إليك عنها ، أهو خطئى أن سوزان تمسكت بمرافقتى ؟ لقد حذرتُها . . .

سوزان : (منفجرة) تجرؤ مع ذلك على اتهامى بالافتقار إلى التماسك ! وكأن ما تصنعه من إضجار السيدة ليبريير بأفكارك المتسلطة ليس من صنع وغد . ربما لم يوجد بعد إنسان في العالم لا يعد حديثك إليه عن فيوليت على نحو ما تفعل الآن — أبعد ما يكون عن الرقـة .

آريان : (بلهجة ملحة) لست أدرى ما تعنينه بهذا القول ، ولكن أرجوك مرة أخرى أن تتخلى عن تلك التلميحات التى لن يكون في مقدورك بلا شك تحديد مغزاها .

سوزان : (إلى سرج) على أى حال ، إذا كنت تتخيل أنها ستعود إليك يوما ، فأستطيع أن أؤكد لك أنك مخطئ . إنها لم تعد تفكر فيك إطلاقا : ومن الجائز أنك حتى في الماضى لم تكن ذا كفة راجحة في الميزان . . وإلا ما قامت بدورها في زواجنا بهذه السهولة . والحقيقة هى أن . . .

آريان : إنك مقدمة على النطق بأقوال ستندمين عليها فيما بعد . أوثـر أن تحدثينى عن الصغيرة مونيك .

سرج : هذه أيضا تعاسة ينذر بها المستقبل : فليكن . إنها تشبه أختى الصغيرة التى توفيت في سن الخامسة .

آريان : يحسن بك أن تسكت ؟ من الأفضل كثيرا أن نبحث عما يمكن أن نفعله لتقويتها .

سرج : كانت فرناند تريد أن تعهد بها إلى مرضعة في الريف ،

غير أن فيوليت رفضت ، وكانت على حق ؛ فهؤلاء النسوة : لا أثق فيهن ، كما لا أثق في الطاعون .

سوزان : ومع ذلك فهذه هي الطريقة الوحيدة لتنشئتها في الهواء الطلق .

آريان : ربما لم يكن الأمر كذلك .

سرج : إنها دائما تلك المسألة اللعينة الخاصة بالنقود . . .

آريان : ربما لم تكن مستعصية على الحل . فهناك على مقربة من « جرينوبل » دار حضانة للأطفال مرهفي الصحة ، نوع من المصحة الوقائية على طراز المؤسسات السويسرية ، وقد تصادف أنني عضو بمجلس إدارتها ؛ وأعتقد أنه لن يكون عسيرا على أن أدخل فيها الصغيرة مونيك .

سرج : ينبغي أيضا ألا تخالط الأطفال المصابين بالسل .

سوزان : سرج !

آريان : كن مطمئنـــا .

سوزان : كيف أشكرك . .

سرج : يجب أن نرى ما ستقوله فيوليت . . ولكن يبدو لى أنها فكرة مدهشة .

سوزان : (متفكرة) الحق أن فيوليت تكون أحيانا غريبة الأطوار . . نَفُور إلى درجة . . نفور إلى درجة . . .

آريان : ليس من الضرورى أن تعرف أن الفكرة صادرة عني . . وإذا لزم الأمر .. ألا تستطيع القول بأن المسألة ستتم بواسطة إحدى قريباتك ؟ وأعترف أنه من جانبي لن

يسوؤنى أى تردد لو كنت مكانك — في ارتكاب مثل هذه الكذبة البيضاء .

سرج : (مضطربا) مفهوم . . .

آريان : سأرى وسأضع ذلك في حسابى فإن كان ثمة مكان ، سأكتب إليك كلمة أرجوك فيها أن تتصرف في هذا الاتجاه .

سرج : ولكن . إذا طلبت منى فيوليت إيضاحات . . . لست بارعا جدا حين يتعلق الأمر بالاختلاق .

سوزان : سنفعل ذلك معا . وستتخلص من هذا الموقف ، لا تخف .

المنظر الرابع

نفس الأشخاص ، فيليب

سرج : (حين يرى فيليب . إلى آريان) لقد تأخرنا — أرجو المعذرة .

سوزان : أجل ، أخشى أن نكون قد أسأنا استغلال . . .

آريان : كلا . أنا سعيدة جدا أن أتيحت لنا هذه المحادثة .

سرج : هنا شيء فحسب كنت أريد أن أطلبه منك ، عندما تتحدثين إلى فيوليت . حبذا لو استطعت أن تسبرى غور نواياها فيما يتعلق بشخص يدعى باسيني . . . أنا لست مطمئنا . . فلو كنت تعرفينه . لفكرت مثلى . .

آريان : سأبذل غاية جهدى ، اتفقنا .

سوزان : سرج . لن تبدأ من جديد ؟ إلى اللقاء ياسيدتى . أننا

سعيدة بمعرفتك . . . (مصافحات بالأيدى ، يخرج سرج وسوزان .)

المنظر الخامس

آريـــان ، فيليب

فيليب : أمن الممكن أن تشرحى لى الآن من هؤلاء الناس ، وما تلك الحكاية التى بدت لى غريبة ، على أقل تقدير ؟

آريان : (بلهجة مكدودة) لقد أخبرتك بها فعلا ، التقيت ثانية بسرج فرنشار عند مريضة اعتنيت بها فترة من الزمن .

فيليب : ومن تكون فيوليت ؟

آريان : أختها ، التى أتلقى معها دروسا فى المصا . .

فيليب : فهمت . ولكن لماذا يهتم بها هذا الفرنشار كل هذا الاهتمام ؟

آريان : كانت فيوليت صديقته ، وهو والد البنت الصغيرة .

فيليب : أهجرهــا ؟

آريان : لا أظن ، ومبلغ فهمى ان صدق : فإنهما انفصلا بالاتفاق المشترك ، ومن ثم ، تزوج بتلك الانسانة .

فيليب : التى تفتقر حقا إلى اللباقة .

آريان : نحن لا نعرف . . .

فيليب : وأنت ، ما دخلك ؟

آريان : كيف ؟

فيليب : مادخلك فى هذه البلبلة ؟

آريان : لا شيء ، بالطبع .

فيليب : لماذا أتى إليك هؤلاء الناس ؟

آريان : كنت مسرورة برؤيته مرة أخرى وطلبت منه أن يقضى يوما عندى .

فيليب : إنه واحد من أولئك الذين يشعرون أنهم موحولون ..

آريان : صحبته زوجته ، ولكنه كان يؤثر أن يأتى بمفرده .

فيليب : هذا غريب . . .

آريان : كيف ؟

فيليب : كل هذا يسبب لى انطباعا لا أصل إلى تحديده ، ولكنه ليس مريحا على كل حال .

آريان : لا أرى .... (صمت)

فيليب : (بغتة) أعتقد أننى داخل في المسألة . (تأتى آريان بحركة كأنها تتراجع .) أجل ، إنى أعانى نفس الاحساس الذى وجدته فيه ذات يوم في حديث مع جلبير دوبلين . . .

آريان : ولكننى شرحت لك ...

فيليب : (بلهجة قاطعة) هذا لا يمنع أننى لن أفهم أبدا مادار بخلدك في تلك اللحظة ، أنت تعرفين أن جيلبير كان عشيقا لزوجتى ، وكنت تعلمين أننى قد عزمت على الطلاق ، وكنت مريضة ، ولا تستقبلين أحـــدا تقريبا ، ما الفكرة التى استولت عليك فجعلتك تأتين بذلك الفتى الذى لا تكادين تعرفينه . . .

آريان : هذا باطل ، كانت لنا محادثات طويلة جدا في لوني عندما كان يأتى لروئية أخته . . .

فيليب : أكان في إمكانك توقع نتيجة محددة من تلك المقابلة ؟

آريان : بماذا أستطيع الرد عليك ؟ من الممكن ان تكون قد راودتنى بعض الأوهام ، أردت — حتى اللحظة الأخيرة — أن أراكما متصالحين ، كلاريس وأنت ، ومازلت أصر على أنه كان من الممكن تجنب الطلاق . .

فيليب : هذا كله محال . إذا أردت أن أفضى إليك بمكنون نفسى . . .

آريان : فليكن .

فيليب : أعتقد أن الباعث الذى دفعك في تلك الحظة لا أقول إنه الفضول ، بل شيء أقوى من ذلك كثيرا ، وغير متميز أيضا . . .

آريان : لا أفهم .

فيليب : ربما كان ينبغى تسميته الحاجة إلى توكيد الذات ؛ إلى أن تكونى حاضرة في صميم حياة الآخرين . . . هذا غريب ، إنك تجعليننى أفكر في المخرجين الذين يلغون الحاجز الذى يفصل بين المسرح والجمهور . أنت لا تستطيعين احتمال أن يكون ثمة حاجـــز . وكان لابد أن تدخلى في تلك الحكاية التى لا أعرفها ، والتى على ما يبدو لى ...

آريان : أما أنا فأعتقد أن تلك الحاجة التى نسبتها إلى تحمل إسماً غاية في البساطة : إنها ما يسمونه عادة بالتعاطف ؛

والفكرة التى تكونها عنها تثبت فقط أنك غير قادر مطلقا على الشعور بها . ولعل هذا هو السبب الذى جعل في امكانك الاتيان بفعل ما كنت أستطيع – في مكانك– الاقدام عليه .

فيليب : لعلك تتحدثين عن طلاقي ؟ لم أندم عليه يوما واحدا ، أتسمعينى ؟ (حركة من آريان) ألا تصدقينى ؟

آريان : كل التصديق ، ولكن ... لكلاريس أيضا أن تقول كلمتها ، وأنت لا تعرف على الاطلاق ما تفكر هي فيه.

فيليب : فلأفترض أنها سعيدة تمام السعادة – ثم إن هذا سيان عندى .

آريان : أنت تفترض .

فيليب : وماذا في ذلك ؟

آريان : أما أنا فلدىّ من الأسباب ما يدفعنى إلى التفكير في العكس .

فيليب : وكيف هذا ؟

آريان : ليس من حقى أن أقول لك أكثر من ذلك .

فيليب : إذن فما برحت العلاقات بينكما قائمة ؟

آريان : لقد كتبت إلىّ .

فيليب : أهي البادئـــة ؟

آريان : ربما أكون قد بعثت إليها ببطاقة بريد ، لم أعد أتذكر

فيليب : (محتدا) على كل حال ، الأسرار التى استطاعت أن تفضى بها إليك لا تهمنى في شيء . كل ما سأقوله لك

فحسب هو أنني أرى من غير المناسب من جانبك — لا مجرد أنك تلقيتها . بل على الأرجح ؛ أنك تعاطفت معهـــا .

المنظر السادس

نفس الأشخاص . جيروم

جيروم : ماذا هناك ؟ أتراني أقاطع مناقشة ؟

فيليب : مطلقا . اكتشفت لتوى شيئا لم يسرني إطلاقا . هذا كل ما في الأمر .

آريان : وهذا موقف لا يخلو من عنف ، على كل حال ! اتزعم أن لك الحق في منعي من مراسلة كلاريس التي أعرفها منذ عشرين عاما ؟

فيليب : كنت تجدينها تافهة فيما مضى ، ولم تبدأ في اجتذاب انتباهك إلا في اليوم الذي أصبح سلوكها ....

آريان : لا تفه بحماقات . أرجوك .

فيليب : إنه الحق الصراح .

آريان : إنها اليوم امرأة يائسة — شريدة تقريبا .

فيليب : لديها ما يمكن أن تعيش منه عن سعة .

آريان : أتعتقد أن هذا يكفي ؟

فيليب : هذا هو الشيء الرئيسي ، في نظرها ، بكل تأكيد

آريان : ما أكرم جانبك حين تحط الآن من شأنها !

جيروم : (عصبيا جدا) لقد خرجت كلاريس من حياتنا .

فيليب : يبدو أنها لم تخرج ، بالضبط .

جيروم : أطالب بألا نذكرها هنا بعد الآن ... ولكن . ما أريد أن أعرفه .... ألم يأت أحد غيا في غيابى ؟

فيليب : فاتتك زيارة فريدة من نوعها .

جيروم : آل فرنشار . أليس كذلك ؟ خمنتُ ذلك . إذ التقيت بهما على الرصيف المواجه . كما يبدو عليها أنهما متشاجران .

فيليب : هذا لم يغيرهما في شيء !

جيروم : ماذا جاءا يصنعان هنا ؟

فيليب : اسأل زوجتك ، أما أنا . فلم أفهم بعد . ولو كنت في مكانك ، لحاولت أن استوضح هذا كله (يهم بالخروج .)

آريان : متى نراك ثانيــــة ؟

فيليب : سأتصل بك تليفونيا . (يخرج)

المنظر السابع

آريـــان ، جـــيروم

آريان : (في حنان) يا عزيزى . أراك تبدو اليوم متعبا .

جيروم : ولماذا أكون متعبا ؟

آريان : يبدو لى أنك تعمل كثيرا هذه الأيام الأخيرة . ذلك المقال عن مهرجان رافيل الذى ينبغى عليك أن تكتبه بسرعة . . .

جيروم : (في مرارة) أتعلمين ؟ بدأت أتقن الصنعة .

آريان : مفهوم . أحسست عند قراءتى لمقالاتك كل أسبوع أنها تجشمك عناء أقل ، فأقل .

جيروم : من الآن وبعد سنة أو سنتين ، سأصبح في مستوى أى كاتب شهرة .

آريان : و ما كاتب الشـــهرة ؟

جيروم : ابتداء من اللحظة التى نتحدث فيها بثقة عن أشـــياء لم نسمع عنها الكلمة الأولى . . .

آريان : كيـــف ؟

جيروم : أنا لا أملك أية معرفة بالصنعة الفنية ، (التكنيك) وأنت تعلمين ذلك جيدا ، وفضلا عـــن ذلك ، ثمة لحظات تضجرنى فيها الموسيقى .

آريان : عندما تكون متوعك المزاج .

جيروم : هذا يحدث لى كثيرا .

آريان : لـــاذا ؟

جيروم : (دون أن يجيب) إن ما يثيرنى على الأخص ، هى تلك الطريقة التى يعامل بها بعض الناس الموسيقى على أنها دين مقدس . الموسيقى ليست دينا ، ولكنها ترفيـــه ؛

آريان : ومع ذلك ، أتذكر يا عزيزى أننى سمعتك أنـــت نفسك . . .

جيروم : بالطبع يحدث لى أحيانا أن أقول العكس . . ثم بعد ذلك . . هناك حيوات تلتهمها الموسيقى ، وهذا مالا أستطيع احتماله .

آريان : إلى من تقصد بهذا التلميح ؟

جيروم : (متراجعا) لا أحـــد بوجه خاص . هذا شيء كثير الحدوث ؟

آريان : غير أن كل العواطف . . . ملتهمـــة .

جيروم : العواطف !

آريان : لست على ما يرام ، بكل تأكيد . ألم تنحف قليلا ؟

جيروم : لست أدرى ، لا أظن .

آريان : يجب التأكد من ذلك . وإنى لأتساءل هل تأكل بما فيــه الكفاية في غيابى . وبالنظر إلى دفتر حسابات المطبخ . ألفيت أنك تطلب كل يوم نفس الطعام . من المستحسن التنويع قليلا . والحقيقة أنه أنا التى ينبغى أن تطلب لك .

جيرم : مـنْ هناك ؟

آريان : ولِـمَ لا ؟ . . . ثم أن فيليب أنبأنى منذ لحظـــة بشيء شغلنى . . . ألا تبالغ في الاقتصاد قليلا أثناء غيابى ؟

جيروم : فليتدخل فيليب فيما يعنيه .

آريان : هذا مطلب كبير عليه . . إذن . فهذا صحيح ؟

جيروم : مـــاذا ؟

آريان : أنك تجتهد في انفاق أقل قدر ممكن ؟

جيروم : هذا طبيعى جدا .

آريان : ولكننى لا أرى داعيا لذلك .

جيروم : اطمئنى ، أنا لا أحرم نفسى شيئا .

آريان : لم يبق إلا هذا ، على كل حال ! . . . هذا ، مثـــل

الملابس . سنذهب غدا معا إلى تيرسليه ليفصل لك بذلتين كاملتين وسموكنج .

جيروم : وماذا أيضا ؟

آريان : أريدك أن تشرفني . وسنمر ايضا على صانع القبعات ، أنت تعلم . . ان اسمه يهرب مني . .

جيروم : قبعتي جديدة تماما .

آريان : انها لا تعجبني ، وهي بكل تأكيد ليست من صنف جيد . (صمت)

جيروم : آريان !

آريان : ماذا ، يا عزيزي ؟

جيروم : أكل هذا من قبيل الجد ؟ كيف لا ترين أن رغبتي كلها هي ألا أكون . . . عالة عليك كما كنت حتى الآن ؟ . . .

آريان : ولكن ، يا جيروم . . .

جيروم : أكنتُ أكافح كل هذا الكفاح للحصول على تلك الأبواب في « جورنال دى بارى » و « الفنار » إن لم أكن أحرص كل الحرص على أن . . . أكسب عيشي بنفسي ؟

آريان : إذن فقد كان فيليب على حق . . .

جيروم : فلنترك فيليب . هذه المرة أيضا — جانبا .

آريان : ومع ذلك ، إذا كان هذا العمل يا عزيزي يُنَفّرك ، فينبغي البحث عن شيء آخر . . .

جيروم : هذا شيء صبياني . يبدو أنك لا تدركين أن الانسان ينبغي أن يعد نفسه سعيدا جدا إذا حصل على وظيفة مجزية .

آريان : أعرف ، ولكن مع ذلك . . . هذا لا معنى له : كيف لا تفهم أن سروري الوحيد . أبقى سرور على كل حال هو بالضبط أن أيسر عليك الحياة قليلا .

جيروم : آسف . ينبغي البحث عن ألوان أخرى من السرور .

آريان : (بغتة) أنت حاقد عليّ !

جيروم : أنا ؟

آريان : أنت حاقد علي بكل تأكيد ، ولكن علام ؟ الحقيقة . . نعم ، هذا شيء طبيعي جدا .

جيروم : ماذا تتخيلين ؟

آريان : إنها تلك الصحة التي يرثى لها ، التي لا تستطيع أن تغتفرها لي

جيروم : هل أخذت عليك أنك بصحة سيئة ؟

آريان : أجل ، يا عزيزي ، حتى لو لم تدرك ذلك . هذا هو التفسير الوحيد .

جيروم : ومع ذلك ، ظننت أنني برهنت لك . . .

آريان : أنت تتمتع بصبر خارق ، غير أن الصبر ينفد على المدى الطويل .

جيروم : أولا ، أنت أحسن حالا .

آريان : ولكن ، بأي ثمن !

جيروم : أؤكد لك أن هيئتك لم تعد أبدا هيئة مريضة .

آريان : أنت تعلم جيدا أن الهيئة خادعة قليلا ؛ لسوء الحظ .

جيروم : ساءلت نفسى أحيانا . . . إن كنت لا تستطيعين محاولة العودة إلى التأقلم رويدا رويدا . . .

آريان : أوْضِح فكرك . يا عزيزى .

جيروم : إطالة اقامتك – مثلا – حتى اللحظة التى أتمكن فيها من الرحيل معك .

آريان : هذا ما استحلفنى الطبيب ألا أفعله ، ولكن إذا كنت تريده . . .

جيروم : ظننت أنك انقطعت عن زيارة الطبيب .

آريان : أنا ألتقى كثيرا بالدكتور « دروز » عند هذه أو تلك من مريضاتى ، فهو يسألنى عرَضاً . . .

جيروم : أحب ألا تقولى مريضاتى . فضمير الملكية هذا مزعج .

آريان : أنت على صواب . . . أجل ، إذا كان من الممكن أن يهبك ذلك قليلا من السرور ، من الرضى ، فسأحاول أن أفعل ما تطلبه منى .

جيروم : ولكنى ، لا أطلب شيئا ، يا آريان ، افهمينى ، لاأريد – مقابل أى شيء في العالم –أن أكون مسئولا عن نكسة.

آريان : ماذا تريد؟ يا عزيزى ؟ لابد للمرء على كل حال من قبول نتائج أفعاله . . . خلاصة القول ، أنا في غاية السعادة حين أرى أننى . . . فلنقل – ضرورية لك . (هناك نصف– استفهام في هذه الجملة) كثيرون في مكانك . . .

جيروم : مـاذا ؟

آريان : كلا ، ستغضب . . . كل ما أريد ان أقوله هو أن كثيرا من الرجال في مكانك يمكن أن يستولى عليهم الشرود بطريقة أو بأخرى . والحق ، من يستطيع أن يؤاخذهم على ذلك ؟

جيروم : (مستريبا) لماذا تقولى لى هذا ؟

آريان : انا مقتنعة دائما بأنه ينبغى مواجهة الواقع .

جيروم : (بصوت شديد الخفوت) لا نستطيع ذلك دائما .

آريان : بماذا تهمس ، يا عزيزى ؟

جيروم : (بصوت أعلى قليلا) هذا صعب أحيانا .

آريان : لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير في أن لديك همّاً لم تحزم أمرك على الافضاء به إلىّ .

جيروم : (بعد فترة صمت .) كلا ، أنت مخطئة .

آريان : (بلهجة غامضة) حسن ، لن أهينك بالطبع — فأظن أنك لم تخبرنى بالحقيقة .

جيروم : ثمة ما يشبه التهكم في صوتك .

آريان : كلا ، يا عزيزى ، لا وجود لأدنى تهكم . ثم ، إن كان لديك سر — على كل حال ، فينبغى على أن أقبله (حركة من جيروم) قلتُ ، إن كان لديك . . .

جيروم : لم أفهم بعد لماذا حضر آل فرنشار إلى هنا .

آريان : تخيلا — على ما أظن — أننى أستطيع إسداء خدمة إليهما.

جيروم : وما يدفعهما إلى افتراض ذلك ؟ . . . ألعلك التقيت بهما عند الآنستين مازارج ؟

آريان : التقيت به هو . ولكنك تعلم تمام العلم أننا متعارفـان من قبل .

جيروم : أظن أنك على إحاطة بالموقف . . تعرفين أن هـذا الـ « فرنشار » تصرف على نحو شائن مع تلك الفتاة ، وفي هذه الظروف ، لا أتصور أن توجهى إليه الدعوة للحضور ، هنا .

آريان : ولكنها هى نفسها تستقبله .

جيروم : بسبب الطفلة ، ولكنها لا توجّه إليه الكلام .

آريان : لم ألحظ شيئا من هذا . . .

جيروم : ربما لأنك كنت هناك ، حرصت هى على . . وعلى كل حال لا أفهم أيضا لماذا أنقيت بنفسك على رأس تلك الفتاة .

آريان : ما وجه الغرابة إن أردت أن أتلقى بعض الدروس مـع عازفةّ كمان موهوبة ؟

جيروم : هناك غيرها .

آريان : ولماذا لابد من أن أفضّلهن عليها ؟ إنها لطيفة جدا .

جيروم : أنت لا تعرفين عنها شيئا . إنها شديدة التحفظ ، ومـن العسير جدا معرفتها . أليس من المقرر أن تأتى إلى هنـا حـالا ؟

آريان : وماذا بعـد ؟

جيروم : هذا شيء يتجاوز كل حد .

آريان : ولكنى أريدك أن تلاحظ أنه بالاضافة إلى المتعة الـتى

تعطيني إياها هذه الدروس . فانها تمثل في نظرها نفعـا ماديا .

جيروم : إذن فأنت تفعلين ذلك على سبيل الاحسان ؟

آريان : مطلقـا .

جيروم : لو اعتقدت ذلك ، فان لدىّ انطباعا بأنها لن تضع قدميها هنا . إنها شديدة الكبرياء .

آريان : أترددت عليها كثيرا ؟

جيروم : أربع أو خمس مرات ، على ما أظن .

آريان : لا أكثر ؟

جيروم : لا أظن ، لم أعد . . . ليست جذابة في نظرى بوجه خاص

آريان : من يكون باسيني ؟

جيروم : متعهد حفـلات .

آريان : أيلعب دورا في حياتها ؟

جيروم : (في عنف) كيف ؟ (يتمالك نفسـه) لست أدرى شيئا عن هذا ، انها لا تحيطني علما بحياتها الخاصة .

آريان : في المرة الأولى التى رأيتك معها ، تَصَوّر أنني ساءلت نفسى لحظة . . .

جيروم : مـاذا ؟

آريان : أدرك الآن كم كانت تلك الفكرة سخيفة .

جيروم : من حسن الحـظ . . .

آريان : من حسَن الحظ ماذا ؟ . .

جيروم : أنك تخليت من تلقاء نفسك عن افتراض مسرف كهذ.
(بلهجة أخرى) أرجو عفوك . . . لو . لو . أنا أعلم
أنني لست معك كما ينبغي . وهذه ليست غلطتي . أنا
ضعيف ، ولست سعيدا . وأظن أنه كان لابد لى من
حياة أخرى مختلفة تمام الاختلاف . ولو كان أبواى
فقيرين دائما من الأصل ، لكان ذلك أفضل بالنسبة لى .
على ما أعتقد ، كنت أكون مهيئا لحياة متواضعة . بدلا
من أن يحطمني . . خرابهما . . . ولن ينصلح حالى أبدا.

آريان : ولكنك مجنون يا جيروم ، لا أعرف أحدا يعد المال
أقل أهمية في نظره منك .

جيروم : ربما كان ذلك حقا ، غير أن العكس صحيح أيضا .
الاستقلال أتفهمين يا آريان ، الاستقلال . . . لاأستطيع
التغاضى عنه ، ولكنه في الوقت نفسه يفزعنى ، وربما
لا أريده إذا مُنح لى .

آريان : ما أشد تعذيبك لنفسك ! وكم تجعل نفسك شقيا !

جيروم : تنتابنى أحيانا ضروب قاسية من الأرق .

آريان : هذا شيء آخر تخفيه عنى . (حركة من جيروم) ولكن
سترى . الحبوب التى دلونى عليها رائعة : انتاج
تشيكوسلوفاكى . سأطلب منهم إرسال علبة . ليس
ذلك أى ضرر .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، الوصيفة ، ثم فيوليت

الوصيفة : سيدتى ، إنها الآنسة فيوليت مازارج

آريان : حسن . أرجو أن تدخليه . قدمى إلينا شيئاً من فضلك ياإلير .

الوصيفة : سمعا وطاعة ، ياسيدتى . (تخرج . وبعد لحظة تتقدمه فيوليت .)

فيوليت : صباح الخير ياسيدتى ، أرجو معذرتك . أخشى أن أكون قد تأخرت .

آريان : لا أظن .... على كل حال . ليس لذلك أية أهمية . ستتناولين الشاى معنا ، أليس كذلك ؟ وفي انتظار اعداده ، سأرى إن كنت سأتمكن من العثور على بعض الصوناتات التى قد لا تعرفينها ، والتى أحب أن أعزفها معك . وسيكون زوجى في رفقتك خلال هذا الوقت ، أليس كذلك ياجيروم ؟ (تخرج)

المنظر التاسع

جيروم ، فيوليـــت

جيروم : هذا كله زائف على نحو شنيع ، ألا تدركين ذلك ؟ ألا تتألمين منه ؟ — (تأتى فيوليت بحركة تدل على العجز) لابد من إيجاد علة لانهاء هذه الدروس .

فيوليت : مستحيل .

جيروم : تأخذين دورك في كل هذا بسهولة .... تصدمنى في عمق .

فيوليت : ماذا تعرف عن ذلك ؟

جيروم : يمكن أن يقال دائما إنه ليس لديك وقت ... كلا ، الحقيقة هى أن زوجتى قد مالت إليك ، وهذه العاطفة

التى كان ينبغى أن تُفزِعك – على العكس – قد أرضت غرورك . . . لم تعودى كما كنتِ .

فيوليت : (تسدد إليه نظرها) ألا توجد وسيلة غاية في البساطة ... وسيلة في متناول يدك . . . تضع بها حدا لهذه الأكاذيب ؟

جيروم : أن أخبرها بالحقيقة ؟ مطلقا ، مرة أخرى لن أفعل ذلك مطلقا . أولا وقبل كل شيء إن صحتها مازالت هشة ، وصدمة مثل هذه ، . . . لا نستطيع أن نعرف ...

فيوليت : اهذا هو السبب الوحيد ؟

جيروم : كلا ، ربما ليس كذلك .

فيوليت : لست مخلصا نحو نفسك ، ياجيروم ، أنت تعرف أنه ليس السبب الرئيسى .

جيروم : ليس علىّ أن أقوم بتفصيل الدوافع التى تجعل ذلك مستحيلا ... ولو استطعت افتراض أنها تشك ، فلن أعرف ماذا سأفعل . . . لن تكون الحياة ممكنة بعد بالنسبة لى .

فيوليت : لماذا يا جيروم ؟

جيروم : أنت لا تفهمين ما بينى وبينها . . .

فيوليت : (في حزن عميق) أنت مخطئ ، ياصديقى ، إن ما يعز على فهمى هو بالأحرى ....

كل ما في الأمر ان من البساطة بمكان أن تقوله لى بشجاعة . إذا كنتَ تعتقد أننا ارتكبنا خطأ ، فقد كان الوقت مناسبا للاعتراف به – وأؤكد

لك أنني لن أحقـــد عليك .

جيروم : فيوليت ! أنت تعرفين جيدا أننا لم نخطئ ، ليتك تعرفين كم افتقدتك طيلة هذا الأسبوع .... لم أعد أملك زمام نفسي . (يعانقها .) ومع ذلك ينبغي . . . ينبغي . . أتسمعينني . . .

فيوليت : (متخلصة) مطلقا . . . هذا كله دنيء . . . إذا كانت بينكما تلك الرابطة التي تتحدث عنها ... والآن بعد أن تعرفتُ عليها . . .

جيروم : من دواعي التعاســـة أنك تعرفت عليها .

فيوليت : ومن دواعي التعاســـة أيضا . . .

جيروم : أهي غلطتي أن الحياة حمقاء متناقضة ؟ لماذا لا نكون متناقضين مثلها ؟ فيوليت ، لسنا من مادة أخرى ، نسيجنا واحد ، وهي ليست سوى متناقضات .

فيوليت : لا أستطيع أن أفكر على هذا النحو .

جيروم : (منفعلا) أنا أفزع من الغرور ، ولعله أكثر ما أمقته في هذا العالم . نحن لا نكف عن الكذب على الآخرين لأننا نكذب عـــلى أنفسنا ، وهذا الكذب الأخير هو أجدر شيء بالاحتقار .

فيوليت : يبدو لي أنك لست عادلا ، ياجيروم .

جيروم : وهل الحياة عادلة ؟

فيوليت : الحياة . . . الحياة ... أهي شيء آخر سوى أسطورة ؟ أليس من الممكن أنها لا تكون أبدا إلا ما نستحق أن نجده فيها ؟

جيروم : نستحق . . . (في ارتياب) أكاد أقول إنها عبارة من عبارات آريان .

المنظر العاشر

نفس الأشخاص ، آريـــان

آريان : (التي تفتح الباب في شيء من الحذر) أرجو المعذرة . لم أستطع العثور على تلك الصوناتات . وبما أعرتها لأحد، ولم تُـرَدّ إليّ . (تدخل الوصيفة حاملة صينية .) انتظرى يا إليز ، سأُخْلِي مكانا على هذه المنضـــدة الصغيرة . . . أرجوك ، أن تساعدنى يا جيروم . . . أشد ما يضايق حقا هو أن العامل الذى سيشد البيانو لم يحافظ على كلمته ، ويبدو لى أن نغمات البيانو نشاز حقا . . . كان من الأفضل أن أذهب إليـــك . معزفك البلبيل ، ممتاز .

فيوليت : أرانى مرغمة على التخلص منه .

جيروم : كيف ؟

فيوليت : وإذا سمعتم مصادفة من يتحدث عن مشترٍ محتمل . .

جيروم : ولكن ، هذا مستحيل .

آريان : ودروسك في المصاحبة . . .

فيوليت : لا اعطيها عندى ، في أغلب الاحيان . وسوف تعيرنى صديقاتى ، معزفا عاديا لا تستعمله ، وهذا كاف تماما .

آريان : أنا حزينة .

فيوليت : إنها ضرورة ، وليس في هذا شيء مأساوى .

جيروم : (في زلة لسان) ولكننى تعودت على هذا المعزف .
(تتظاهر المرأتان بأنهما لم تلحظا هذه الزلة .)

آريان : على كل حال ، إذا كنت قد اعتزمت تماما . . .

فيوليت : أؤكد لك أننى لا أستطيع أن أفعل خلاف ذلك .

آريان : أعدك بأن أتحدث عنه في الوسط المحيط بى . وفضلا عن ذلك ، ربما خطرت لى فكرة فعلا .

فيوليت : شكرا جزيلا . أنت طيبة

آريان : (تناولتها فنجانا من الشاى) أرجو ألا تكون أقوى من اللازم . تستطيعين إضافة قليل من الماء .

فيوليت : إنه مضبوط ، شكرا .

آريان : أما أنت يا عزيزى ، فبعد أن حدثتنى عن أرقك ، سأعطيك الشاى مخففاً إلى أقصى حد . ومن المستحسن في المستقبل استبداله . . . بالكاكاو ، مثلا .

جيروم : يالها من فكرة !

آريان : أؤكد لك ، أن الأصناف الهولندية ممتازة .

جيروم : لم يمنعنى الشاى قط عن النوم .

فيوليت : أعتقد أن السيدة ليبريير لم تخطئ .

جيروم : (بطريقة ذات مغزى) ماهذا التحالف ؟ (ينهض) تذكرت فجأة أننى وعدت بتسليم مقالى عن الباليهات الاسبانية غدا . ينبغى أن أذهب لإنجازه . أرجو المعذرة يا آنسة .

(يخرج)

المنظر الحادى عشر

آريان ، فيوليت

فيوليت : (بصوت مُتَقَطع) أؤكد لك . . . ان هذا مستحيل .

آريان : ما هذا المستحيل ؟

فيوليت : وانا لا أفهم أنا نفسى ، لماذا لم أخبره – على الفور – بانك تعرفين كل شيء .

آريان : كنت حينذاك تنكثين بوعدك ، وهذا أسوأ ما يكون

فيوليت : ومع ذلك كنت سأفعله ، ولكن ، لست أدرى . . . عندى احساس بأنى ما كنت سأنقذ شيئا . . على العكس . . .

آريان : هذه هى الحقيقة

فيوليت : كيف يمكنك أن تكونى متأكدة من ذلك ؟

آريان : إن حدسك يتفق مع حدسى .

فيوليت : أوه ! أنا ، لاحدس عندى ، أنا جبانة ، هذا كل مافي الأمر .

آريان : أنا على ثقة من العكس .

فيوليت : بدناءة . وأنت . . . أنا لا أفهم . . أحيانا أعجب بك أكثر من أى شخص آخر ، وأحيانا أخرى . . .

آريان : ماذا ؟

فيوليت : لاتوجد كلمة . زَلت قدمى ، أجل ، وكأننى أسقط . هذا شنيع . أنت لاتدينين لى بأى تفسير ، بل أعتقد أنك لاتستطيعين اعطائى أى تفسير ، ولكن . . . هذا الكرم الذى لايكاد يُصَدق . ثم هذا الوعد الذى الححت في طلبه . . . والآن هذا الهدوء ، هذه الرزانة ، الظاهرة على الأقل التى وصلت إلى الاحتفاظ بها على حين أننى

أشعر . . . أجل ، كل هذا ، وأشياء أخرى كثيرة. . .
لن أقول لك أبدا كم أشعر بأنني لست جديرة بمجرد
الاقتراب منك،أنا من خنتك . . . ولكن، كوني رحيمة
بي مع ذلك . . . واشرحي لي .

آريان : لاينبغي الإعجاب بي ،وذلك الشعور الذى لم تتمكني من
تسميته ، ينبغي ألا تتخلى عنه هو ايضا ، على ما يبدولى.
انظرى ، هناك أولا واقعة لم تأخذى حذرك منها . عندما
يجتاز المرء المحن الجسيمة التى عانيتها خلال أعوام ، من
المستحيل على ما أعتقد ألا يتأمل الحياة . . . وهذه الكلمة
ليست دقيقة ــ ألا يُقَومها على نحو جديد تماما .أجل،
هـــذه المسألة ، القيم مختلفـــة . وأكاد أقول إن بعض
المواضعات الأخلاقية لايمكن أن يقبلها أو يعترف بهاإلا
أولئك الذين يتمتعون بصحة جيدة . المرض ،يافيوليت
. . . أوه ! لا أريد أن أقول بالطبع إنه ميزة بأى معنى
من المعانى، أو بأنـــه يضفى علينا أدنى استثناء . ولكن
ما أستطيع أن أقرره بالنظر آن أقرره بالنظر إلى نفسى
هو أنه يغير من وضعنا بالنسبة للعالم أو بالنسبة لنظام
طبيعى معين ، وكأنما ندرك وجهـــا للأشياء لم نكن
نستطيع حتى الآن مجرد الارتياب في وجوده . لعله بعدٌ
آخر للعالم .

فيوليت : لوكان ذلك حقا ، فانه يصبح ميزة على كل حال .

آريان : كلا ، لأنه لا وجود لشيء حتمى في هـــذا المجال .
عَرَفْتُ مَرْضَى لم يستطيعوا تجاوز المرحلة الأولى :
مرحلة اليأس والتمرد . لم يوهبوا السمو إلى تلك المعرفة
الثانية التى تشمل المعرفة العادية ، وإن تكن تتجاوزها .

فيوليت : من الصعب عليّ جدا أن اتابعك ، وأنا لا أرى . . .

آريان : هذه تجربة لايمكن تصورها أو التنبؤ بها ، وقد حاولت التنبؤ بها ، وقد حاولت أن أضمنها في كتاب سينتهى قريبا ، ولكنه لن يظهر اثناء حياتى .

فيوليت : لم أكن أعلم أنك تكتبين . . .

آريان : جيروم نفسه يجهل ذلك ، على ما أظن . لا أهمية لهذا على كل حال . كل ما أريدك أن تدركيه ، هـو أن حُكْمِي لايمكن أن يتطابق مع حكم امرأة لم تتح لها الفرصة قط لبلوغ هذا المستوى الآخر .أو بالأحرى ، إن كلمة « حُكم » نفسها هى التى تَفْقِد معناها هنا . أنا لا أحكم عليك ، ولم أحكم عليك ، لحظة واحدة ، وكذلك لم يحكم عليك جيروم . وعندما تلقيت الرسالة التى جاءت لتأكيد تكهناتى . . .

فيوليت : رسالة ؟

آريان : بلا توقيع . أحسست كأن عبئا أزيح عن صدرى . . أجل شعرت كأننى تخلصت من قلق .

فيوليت : رسالة بلاتوقيع ! لم تخبرينى بشيء عنها .

آريان : لا أهمية لذلك .

فيوليت : من يمكن أن تكون له هذه النفس المنحطة ؟ . . . ثم ، إن أحدا لم يكن يشك . . . آه ! . . كلا ، هذا مستحيل.

آريان : ولم ينجح الكاتب في اخفاء خطه بمهارة تامة .

فيوليت : هل تعرفتِ عليه ؟

آريان : أعتقد .

فيوليت : إذن ... هى فرناند؟ (تومئ آريان برأسها علامة ايجاب)

آريان : لاينبغى ان يرى المرء في هذا إلا حركة صادرة عن امرأة عاجزة . لابد انها لاتعرف أنك على علم بهذه . . .

فيوليت : تخايلات أخرى ، وأكاذيب أخرى ، هذا كله يخنقنى . وما حاولت أن تشرحيه لى . . . أوكد لك ، أنه صعب جدا ، بعيد جدا . . . ذلك المستوى الذي تحدثت عنه ، مايسمونه بالايمان ؟ أنا لست مؤمنة . لم يكن حولى شخص واحد مسيحى .

آريان : الحقيقة التى أستشفها أعلى من الكنائس ، أيا كانت . . .

فيوليت : ولكن ، يخيل إلىّ أنه ينبغى عليها أن تنفذ في كل شيء ، كالنور . . . أيمكن للحقيقة أن تتفق مع كل هذه التحفظات ، مع كل هذه التخفيات ؟ ليس في وسعى أن اعتقد ذلك . وعلى الرغم من كل شيء ، لو أنك تحدثت إلى جيروم في صراحة ، ولو أنك اجتهدت — كيف أقول — نقل هذه الحكمة إليه . . .

آريان : أيتها المسكينة فيوليت ، في هذه اللحظة تخدعك الكلمات. جيروم مجروح ، وليس من المسموح له أن ينسى ذلك لحظة واحدة .

فيوليت : ماذا تقصدين ؟

آريان : لست أدرى إن كان من حقى أن أفضى اليك بهذا السر.

فيوليت : (في مرارة) فات أوان التردد .

آريان : تعلمين ، أن جيروم وأنا قد كبرنا معا . وكان من المتفق عليه فيما بيننا طيلة الوقت أن نصير يوما زوجا وزوجة . ولم تكن هذه الفكرة تسبب لنا أى اضطراب ، أى قلق —

إذا كانت ممتزجة بحياتنا ، بل إننا لم نتوقف حتى لتأملها. وكانت عائلتانا تؤيدان هذا المشروع تمام التأييد ، وربما كان والدى ، وهو أنفذ بصيرة من أمى ومن والدى جيروم ، قد تنبأ بأن هذا الاعتقاد في نوع من القدَر المشترك لم يكن بلا خطر ، ولكنه لم يعترف لنفسه قط بالحق في الافصاح إلى صراحة عن مخاوفه . ومع ذلك — وهذا شيء لم أفهمه إلا فيما بعد، وعن طريق المقارنات— في خلال أعوامه الجامعية وعلى الأخص في انجلترا — تعرض جيروم لغوايات من نوع خاص لم ينتصر عليها إلا بعد صراع شاق جدا ، كاد أن يستنفد قواه . وهذا الصراع — أتفهمين — لم يكن ما يسنده اقتناع أخلاقي ، أو الاعتقاد في قاعدة أبدية ، كلا ، ولكن مجرد فكرة ماسيكون عليه اتحادنا ويتطلبه منه . وأنا مقتنعة أنه لو استلم ، لما وجد في نفسه الجرأة على الظهور ثانية أمامى ، ومن المحتمل إلى غير حد أن يكون قد انتحر . وفي عشية زواجنا ، حاول في عبارات مُغلفة — فاتنى معناها الحقيقى تماما — أن يجعلنى أفهم أننى أنقذته ، فلم أر فيها سوى اعتراف أفزعنى بانعدام الخبرة في شئون الحب . والواقع أنه . . . (تتوقف عن الكلام .)

فيوليت : اتوسل إليك ألا تخبرينى بالمزيد .

آريان : ودون أن يكون من الممكن الاعتراف فيما بيننا — كان زواجنا بالنسبة له ، مثلما هو بالنسبة لى — خيبة أمل مريرة ، ومع ذلك ، ودون أن استطيع تفسير ذلك لنفسى — قمت بدورى في سهولة . صحيح أننى لم أنج من المرض، أما جيروم، فأنا أعرف — أنه على العكس—

لم يكف عن تعذيب نفسه . ومن هنا يبدأ — وانا متأكدة من ذلك — ذلك الميل المشئوم للحط من شأنه أمام الآخرين ، بل حتى أمام نفسه . وفي هذه الظروف ، تستطيعين أن تتخيلي مايمكن أن يكون عليه عذابي خلال أعوام المرض ؟ ففي بعض الأيام أصل إلى درجة التساؤل عما إذا كنتُ أنا شيطانه السيئ ، وعما إذا كنتُ قد انتزعته من مصيره الحقيقي .

فيوليت : لايمكنك أن تعني . . .

آريان : كدت أضع لنفسي هذا السؤال . ولكنني كنت أعرف أعرف — في الوقت نفسه — أن ضروب ندمه ، أيا كانت — ينكرها هو نفسه ، وأنني مازلت أجسد له ضميره السليم . وأنا التي لا أخشى الموت بالنسبة لنفسي ، أعتقدت مرتين على الأقل — في رعب حقيقي — أنني سأموت حتما . ولم أكن أجرؤ على التفكير فيما يمكن أن يكون مصير جيروم حين أغادر هذه الحياة — هل بدأت تفهمين لماذا لايمكن أن يكون ثمة ماهو أبعد عن الغيرة من . . .

فيوليت : في هذا كله شيء يبث الرعب في نفسي .

آريان : لم يساورك الشك قط في أن لجيروم ذلك النزوع . . . الفريد ؟

فيوليت : مطلقـا .

آريان : لو تمثلت لنفسك الوسط الذى شب فيـه ، لكنت أقل دهشة . أما بالنسبة لى أنا التي عرفت والدته وخالاته — وهن مخلوقات مهذبة أكثر من اللازم ، تنقصهن الحيوية

قليـــلا — وكأنهن يردن في كل لحظـــة حمايتـــه ، من الحياة . . . لعلمت ، أنها لسعادة كبرى أن التقى بك ، أعتقد أنك حَلَلْتِ عقدتَه .

فيوليت : (في رفق ، ومع ذلك في شيء من الخشونة) نحن متحابان هذا كل مافي الأمر .

آريان : ومن الجائز أن هذا هو سبب إنقاذك له . فلو كان لقاؤك مجرد متعـــة للحواس — وهذا شئ لاسبيل إلى تصوره أبدا — أتعتقدين أنـــه كان في إمكانى الافضاء إليك بأسرارى كما أفعل في هذه اللحظة ؟

فيوليت : لاتستطيعين أن تمنعى نفسك عن الكلام في الماضى .

آريان : أنت لاتبحثين في كل مكان إلا عن دواعى القلق .

فيوليت : ليس لى أن أبحث عنها . . . وفضلا عن ذلك ، أنت على حق ، كل هذا ينتمى إلى الماضى . وكرمك الرائع لايغير من الأمر شيئا . هذا طريق مسدود . ومن الآ ن فصاعدا . . (تنخرط في البكاء)

آريان : (في حنان) أكنتُ سيئة على هذا النحو في إفهامك ؟

فيوليت : فهمت جيدا جدا . . أكثر من اللازم .

آريان : ستكونين ضرورية له ، أمدا طويلا .

فيوليت : (في لهجة متميزة) أستكونين أنت التى ستخطرنى بان زمن الفطام قد حان ؟

آريان : ماذا قلت ؟ زمن الفطام ؟ أسمعتُ جيدا ؟

فيوليت : ها أنت ترين أنى قد فهمت . . .

آريان : كلا ، ياصديقتى المسكينة ، مادامت كبرياؤك مشبوبة . أتعتقدين أننى لا أحسدك على الدور الذى أعطاك إياه للقيام به في حياته ؟ إنى احسده في عمق ، ومع ذلك ، أنا لست غيوراً ، لأنه لايدخل في هذا الحسد درهم واحد من المرارة أو الضغينة . . . وعلى كل حال ، اليس من القسوة — بالنسبة لامرأة — أن ترى نفسها وقد أحبطها القدر ؟ .

فيوليت : ومع ذلك ، فأنت متأكدة من حصولك على أفضل نصيب.

آريان : ربما كان الأمر — في الواقع — يتوقف عليّ في أن أجعل هذا النصيب هو الأفضل . ولكن ، بأى شرط ؟ يكفى أقل قدر من الأنانية أو من الارادة الشخصية لكـــى يصبح خليقا بأشد صنوف الاحتقار .

فيوليت : أتعلمين أننى مهيأة لكى أدع لك ميزة التضحية ؟

آريان : أنا لم أتحدث قط عن التضحية ، يافيوليت . أنا لا أثـق في التضحية ، ولا أعتقد فيها . ليس في مقدورنـا أن نتنازل عن السعادة إلا بعد أن ندفع لها ثمناً هو عملية بتر استنكرها ، أو كذبة باطنية أحتقرها .

فيوليت : ولكن ماذا . . .

آريان : شاهدت أشخاصا يُضَحّون حولى ، وهذه التضحيـة رزحت كاللعنة على من كان الواجب ان يكونوا هـم المنتفعين منها . لا وجود لانسجام يمكن أن يولد مـن التضحية .

فيوليت : لا أفهـم .

آريان : لو أنني ضحيت لحبك ، لأصبح من المستحيل – دون أن أشعر – ألا أتوقع مقابلا أيا كان ، مكافأة ما ، وهذا الحساب اللاواعي – يكفي لأن يخلق بيننا نحن الثلاثة – منطقة من الالتباس والكذب . ولو نجحتُ بمعجزة في أن أستأصل من نفسي كل أمل في الثواب ، فسأغرق دون شك في حزن لاعلاج له ، ولن يتوانى جيروم – رغم جهودى – عن تخمين سببه .

فيوليت : الالتباس والكذب اللذان تخافين منهما ، لن تعملى على تبديدهما إلا إذا قلت لجيروم . . .

آريان : هذا ، ألا ترينه ؟ إنه ليس حقيقيا إلا من الظاهر فحسب ولن يغيّر في الواقع إلا الشكل وحده . ليست الحقيقة شيئا ننقله، شيئا نوصله للآخرين . من المستحيل على إقناع جيروم بأنني لا أوافق – في سبيل مصلحته – على تضحية لايمكن أن يحتمل فكرتها .

فيوليت : لـَمْ تقنعيني بذلك .

آريان : ثمة شيء صعب ومؤلم في العلاقة التي تربطنا من حيث أن جيروم – لم يكف قط – بحماقة – عن اعتبار نفسه مدينا لى . وبدلا من أن يفعل كالآخرين – لو كانوا في مكانه – فيتخذ من حالتي الصحية ذريعة للتخلي عن التزاماته ، أحس منذ اليوم الذى سقطت فيه مريضة ، أنه مرتبط بى ارتباطا لا انفصام له، أقوى من ارتباطه بالماضى .

فيوليت : هذا طبيعى .

آريان : أتكون معرفتك بالرجال على هذا النحو من السوء بحيث تفكرين في شيء كهذا ؟

فيوليت : كنت سأشعر بمثل شعوره .

آريان : أنت أمرأة. وكل المحاولات التي كان في وسعي أن أقوم بها لتحريره ، وكل التوقيعات الصريحة التي وقعتها على بياض والتي سمحت له بها ،لم تكن نتيجتها إلا أن جعلتُ شعوره بهذا النوع من الدينْ أشد ارهاقا وتحطيما . . .

فيوليت : (في قوة) ولكن أليس الضمير الملوث مُرْهِقاً هو أيضا؟

آريان : عليك أنت وحدك أن تخلصيه منه ، وهذا ما انتظره بالتحديد منك . سأرحل ثانية إلى الجبل خلال خمسة عشر يوما على الأكثر ، ولهذا ينبغى أن نجد وسيلة لكى تقضى مع جيروم بضعة أسابيع في مكان هادئ لا يعرفكما فيه أحد . كما ينبغى أيضا التفكير في الصغيرة مونيك التي كنت أنوى الحديث إليك اليوم طويلا عنها؛ لقد واتتني في هذه اللحظة فكرة يجب تعمقها . توجد على مقربة من جرينوبل دار للاطفال ساهمت في تأسيسها وسأدبر الأمر بحيث تستطيعين قضاء شهر إلى جانب الطفلة ، هذا شيء استثنائى، ولكنه ممكن التحقيق. وعلى بعد عشرين دقيقة من هناك ، يوجد بنسيون تشرف عليه امرأة طيبة من معارفي . وسينعم جيروم هناك بالهدوء ، وسيحصل في يسر على نظام الأكل الذى يفضله . . .

فيوليت : ولكن هذا مستحيل . . . أولا هذه المصادفة ، كيف يمكن ألا يكتشف جيروم أنها تمت وفق ارادتك ، وبتدبيرك ؟

ريان : ربما كنت على صواب . سيكون الأمر خطيرا . ينبغى إمعان الفكر .

فيوليت : ثمة شيء آخر . هذا الاذن الذى تعطينا إياه ، يجرحنى ولو كان على سبيل التشجيع .. فإنه .. أجل ، يخنقنى . يثيرنى .

آريان : (في رقة طاغية) كأنك تلومينى . . .

فيوليت : أنت لا تريدين أن تفهمينى . . . ومع ذلك ، فأنا واثقة من أن في هذا كله شيئا زائفا ، مخالفاً للطبيعة .

آريان : مخالفا للطبيعة ، يا فيوليت ، أجل ، هذا ممكن ، ولكن ، هل الطبيعة عادلة ؟ هل الطبيعة رحيمة ؟ لماذا لا تكون حالة الطبيعة كالشرنقة التى ينبغى أن تحطمها الفراشة ؟

فيوليت : لو قبلت الثقة فيّ ، والتنازل عن ارشادى . . .

آريان : لا أرغب في شيء سوى هذا . كل ما في الأمر أننى لا أشعر بأنك قوية بما فيه الكفاية . لقد تحدثت إلىّ عن الضمير الملوث الذى يعانى منه جيروم ، وأنا أعتقد أن هذا الضمير الملوث ينشط فيك أنت على الأخص وينخر وهذا ، وهذا وحده هو ما أخشاه فيك ، يا صديقتى . أكدت لى أنك لستِ مؤمنة ، ولكن ألا تخدعين نفسك؟ أليس من الممكن — على الرغم من كل شيء — أن يكون الخوف من عصيان قانون أسمى — هو الذى يعذبك ؟

فيوليت : كلا .

آريان : إذن ، فأنت تصرين على أنك مذنبة نحوى أنا ؟

فيوليت : لست أدرى ، ولا أستطيع أن أفسر شيئا . ويبدو لى أن هذه الكذبة هى . . .

آريان : ومع ذلك ، فكّرى مليا ، افترضى لحظة واحدة أننى سأقول لجيروم إننى على علم بكل شيء ، ولنسلّم على سبيل المحال ، أنه قبل هذا الموقف ، وأن الرابطة بينكما مستمرة ، هل يتبدد القلق الذى يساورك نتيجة لذلك ؟

فيوليت : لا أظـــن .

آريان : إذن ! مادمت لم تنجحى في التخلص من الشعوربالذنب ، فلنعتبر هذه الأكذوبة التى تجثم عليك هى العقاب الذى أوقعه بك — عن هذا الخطأ الذى أرفض الاعتراف به .

فيوليت : إنى ضائعة . (صمت طويل .)

المنظر الثانى عشر

نفس الأشخاص ، جيروم

آريان : انتهت مقالتك ؟ (في ابتهاج مصطنع إلى حدما .)انظر ، إننا لم نعمل اليوم ، لست أدرى ما أصابنا ، فأخذنـــا نثرثر طيلة الوقت .

جيروم : (بلهجة مغتصبة) أرى ذلك .

آريان : (إلى فيوليت) إذا كان لابـــد لك من الاستغناء عـــن معزفك البلبيل ، لماذا لا أشتريه منك لوضعه في لونيي ؟ (حركة من جيروم) لست أدرى ماذا أصاب معز في الجافو ، إنه معزف ردىء حقا .

جيروم : ليس لدى الاحساس بأن هذه فكرة طيبة .

فيوليت : ولا أنا أيضا ، لا أستطيع حقا . . .

آريان : (ضاحكة) سيشق عليكما أنتما الاثنين أن تبررا لى لماذا. ليست هذه بالفكرة الطيبة. فكلما أمعنت الفكر بدت لى – على العكس – فكرة ممتازة.

جيروم : أرى أننا لسنا على اتفاق.

آريان : يا إلهى، لماذا ينبغى أن يستمتع الناس بتعقيد الحياة! كل شيء يمكن أن يكون في غاية البساطة، في غاية البساطة...

الفصل الثالث

نفس ديكور الفصل الأول

المنظر الاول

فيوليت ، فرناند

فرناند : أما أنا فأرى أنك تبالغين كثيرا في خطورة هذه النزلة الشعبية . تلك الطبيبة نذيرة شوءم ، قلت لك ذلك من أول يوم . لا تتمتع النساء بأى هدوء في الأعصاب .

فيوليت : لقد اتخذت قرارى : ما أن تتماثل الصغيرة للشفاء ، حتّى أصحبها إلى مصحة وقائية .

فرناند : لو لم تتشاجرى مع باسيني بتلك الطريقة الغبية ، لأرسل إلينا الدكتور ياولوس .

فيوليت : لعله لا يزيد هو الآخر عن مهرج مادام واحدا من أصدقائه . ثم إنني أتوسل إليك ألا تتحدثى إلىّ عن هذا الشخص بعد الآن .

فرناند : أمن الممكن أن نعرف مشروعاتك ؟ مصحة وقائية ، أجل ، أعرف ذلك . ولكن مَنْ الذى سيدفع ؟

فيوليت : كيف ؟

فرناند : إلا إذا كنت لا تنوين وضع مونيك في موءسسة من التى يقال عنها موءسسات البر والاحسان . هناك حيث

تلتقط بعد بضعة أسابيع المرض الذى تزعمين وقايتها منه . . .

فيوليت : لن أعهد بها إلا إلى أَيْدٍ مضمونة تماما،وأنت تعرفين ذلك جيدا .

فرناند : هذه مجرد ألفاظ . . الاطمئنان الذى تطالبين به يكلف غاليا . وأين تجدين مايوفر لك هذا الترف ؟ على أية إرادة طيبة تعتمدين ؟

فيوليت : سأدبر أمرى . . لابد من ذلك .

فرناند : هل معنى ذلك ، أنه سيدبر أمره ؟

فيوليت : سرج لا يستطيع أن يفعـــل شيئا من أجلنا ، وانت تعرفين هذا تمام المعرفة .

فرناند : لم يكن سرج هو الذى أفكر فيه .

فيوليت : (دون أن تجيب) يبدو عليك أنك متهيئة أكثر من اللازم قليلا للتواطؤ على ابتزاز بشع لن أقره أبدا .

فرناند : أى ابتزاز ؟ .

فيوليت : أبدا ، أيا كانت الأحوال .

فرناند : إذا كان باسيني هو من تلمحين إليه ، فانى أجيب ببساطة بأنك وضعت نفسك في موقف لا يسمح لك برؤية مدى صعوبته . ومن الواضح ، إذا كان يرضيك أن تضحى بطفلتك في سبيل تفضيلاتك الشخصية ، ومن أجل ذوقك الرفيع . . .

فيوليت : (في عنف) أنا لا أبيع نفسى .

فرناند : لأحرى أن تقولى إنك تضالين باختيار المشترى . لابد أن يكون هناك من يدفع . أشك في أن يكون هو جيروم يبدو لى أنه معدم تماما .

فيوليت : أنت حقيرة ؛

فرناند : أن يباع المرء أو أن يعوله انسان ؛ سيان .

فيوليت : ومتى أعالنى أحد ؟

فرناند : لقد أمكنك حتى الآن الاستغناء عن ذلك ، بيد أن هذا ترف ينبغى أن تتنازلى عنه في القريب العاجل . وإذا دفعنا القسط ، لم يتبق لنا إلا ألف وخمسمائة فرنك .

فيوليت : ستعرفين أننى لا أنخدع بمناوراتك . أعرف أنك كتبت خطابا غُفْلاً من التوقيع إلى آريان ليبريير .

فرناند : (مشدووهة) أنا ؟

فيوليت : على أمل إنهاء علاقة تعتقدين أنها غير مجدية . . .

فرناند : آه هذا ، ولكنك تهذين ، يا فتاتى المسكينة ، ! ما هذه الحكاية ؟ آريان تلقت خطابا غُفْلا من التوقيع ؟ أقالت لك ذلك ؟

فيوليت : عَرَضاً .

فرناند : هذا شيء لا يُصَدق . وهل استجوبتك ؟

فيوليت : كلا .

فرناند : حتى ولو ؟ ...

فيوليت : ليس علىّ أن اجيبك .

فرناند : هل هناك وسيلة لطَمْأَنتها ؟ ... حقا ، لم أكن أعتقد

أنك رابطة الجأش إلى هذا الحد .. إن قدرك يرتفع في نظرى .... ربما لم تكن مكترثه ؛ أو كان هذا الأمر لا يثير سخطها ؛ أو حتى لعله أن يسرى عنها ، هؤلاء المريضات المقيمات في المرض منحرفات تسعة على عشرة .

فيوليت : اسكتى .

فرناند : سحاقيات في معظم الوقت . أوه ! دون أن يعرفن أحيانا ....

فيوليت : إنى أحتقرك ، ولا يمكنك أن تعرفي إلى أى حد أحتقرك.

فرناند : وهذا أيضا ترف آخر لن تستطيعى دفع ثمنه طويلا . ألم يدق الجرس ؟ السيدة جوكييه لم ترحل بعد ، وستفتح . . .

فيوليت : لابد أنه سرج .

فرناند : مرة أخرى ! (دقات على الباب) من هناك ؟

سرج : (من الخارج) إنه أنا .

فيوليت : (بصوت فاتر) تستطيع الدخول .

المنظر الثانى

نفس الاشخاص ، سرج

سرج : ماذا قالت الطبيبة ؟

فيوليت : النزلة الشعبية في طريق الانحسار ، ولكنها قالت إن مونيك عرضة للانتكاس ، وينبغى اصطحابها حالما تنخفض درجة الحرارة ، وترى أنه لابد لها من قضاء

سنة على الأقل في الريف ، في مصحة وقائية .

فرناند : وقد قلتُ رأيي فعلا في هذه الفكرة .

سرج : ماذا ستفعلين ؟ لم نكف سوزان وأنا عن قدح زناد فكرنا ... ويجب عليَّ أن أقول إنها كانت لطيفة جدا في هذا الظرف . (في تردد ، ندرك انه يتلو درسا حفظه عن ظهر قلب) بل تذكرت أن لها قريبا بعيدا من أعضاء مجلس ادارة . . لم أعد أتذكر اسم المؤسسة ، ولكني أعرف فحسب أنها قريبة من جرينوبل .

فيوليت : لا بد أنها جرانسي : سمعتهم يتحدثون عنها .

فرناند : تلك الدور هناك ، باهظة التكاليف .

سرج : ستجتهد سوزان في الحصول على شروط ممتازة جدا عن طريق ابن عمها ذاك الذى اعتقد أن أباها قد أسدى إليه خدمة فيما مضى .

فرناند : يبدو عليك أنك تتلو درسا .

سرج : (مرتبكا) كل هذا مُشَوّشٌ في عقلي .

فرناند : يا للخسارة ! لابد أن الأمر يتعلق بعيادة لمرضى الأعصاب بجوار « بايون »

فيوليت : حسبك ، يا فرناند !

سرج : هناك فرصة . . نسبية على كل حال .

فيوليت : أرجو أن تشكر زوجتك كثيرا . . ربما أمكنها أن تعطيني بعض التفاصيل .

سرج : بالكتابة . . فهي مصابة بالزكام في هذه اللحظة ، هذا شيء مزعج بما فيه الكفاية .

فرناند : منظرك غريب .

سرج : أوه ! دعيني وشأني .

فرناند : ليس في نيتي أن أُخَلّد ، هدّئ من روعك . . .
ولكن ، إن كان علىّ أن أُقَدّم إليك نصيحة ،
فهي أن تتقن إخفاء خطك في المرة القادمة . (تخرج)

المنظر الثالث

سرج ، فيوليت

سرج : ما معنى هذا ؟ هيه ؟ اشرحي لى . . .

فيوليت : سرج !

سرج : إلام تُلَمّح ؟ هيه ؟

فيوليت : صوتك يرن رنينا زائفا .

سرج : هيه ؟

فيوليت : لا تقل هيه . . ياسرج ، أأنت الذى كتبت ذلك الخطاب

سرج : أى خطاب ؟

فيوليت : أنت تعلم جيدا أنك لم تفلح قط في الكذب علىّ ، ويعلم
الله إن كنتَ قد حاولتَ مرارا . . سرج ! لم أكن أظن
أنك قادر على مثل هذه . . .

سرج : ماذا ؟

فيوليت : هذا أول شيء لن أستطيع اغتفاره لك ابدا . .

سرج : لم تغتفرى لى شيئا . . أوه ! لا أقول إنك تمقتينني . حتى
ولا هذا . . إنك تحتقرينني .

فيوليت : ما كنت احتقرك .

سرج : وربما لهذا السبب كتبتُ إلى السيدة ليبريير . وكأنما لأستحق احتقارك .

فيوليت : المسألة أبسط من هذا ، لقد فعلتَ ذلك على سبيل الانتقام ولأنك لا تستطيع أن تحتمل أن أنعم بقليل من السعادة . .

سرج : أنت سعيدة ؟ يبدو أنك لا تنظرين إلى نفسك . . .إذن، فقد اطلعتك على ذلك الخطاب ؟ (تومئ فيوليت برأسها علامة النفي .) كيف عرفت أنها تسلمته ؟ وماذا استنتجت من ذلك ؟

فيوليت : لاشيء في الظاهر .

سرج : أوه ! ومن جهة أخرى ، أسلّم بأنها كانت حماقة . . ولكنك تفهمين . . حياتى ليست مسلية . .

فيوليت : أعرف . .

سرج : كلا ، لا تستطيعين أن تُصوّرى لنفسك . سوزان . . . أوه ! إنها ليست امرأة سيئة ، ولكنها أولا ليست فنانة. لا تقتصر المسألة على انها لاتفهم شيئا في الموسيقى ، أيا كانت ادعاءاتها ، لايمكنك أن تتصورى ، أنها تجروُ أحيانا على إعطائى نصائح . . . « أنت تعزف أقوى من اللازم » . . . « يبدو لى أنك تستخدم الدواسة أكثر من اللازم . . . » . . . هذا شيء مضحك . . . ولكن، من الممكن أن يمرّ ، وسينتهى بى الأمر إلى إعادتها إلى صوابها . غير أنها لا تتمتع بأيه لباقة . . إنها امرأة تفتقر إلى كل لباقة . ويمكنها أن تخرجك أحيانا عن . . .

فيوليت : ليس هذا على جانب كبير من الأهمية . . فهى تحبك .

سرج : لستُ حريصا على أن أكون محبوبا بهذه الطريقة . . .
وقبل كل شيء فإنها ترهقني .

فيوليت : تذكّر ، لقد أخذت عليّ أنا أيضا أنني أُرْهقك .

سرج : أرجوك ، يا فيوليت . . . ليس في وسعى أن أعطيك تفاصيل . . . كل ما طلبتُه ليلتين في الأسبوع ، أتفهمين ولم أحصل عليهما أيضا . إنها سريعة التهيج ، وتجعل الحياة أشبه بالجحيم . .

فيوليت : يا سرجى المسكين ، أنت يا من كنت تتحدث عن الرقة . . .

سرج : ومع ذلك ، يمكن أن أكون مأفونا . . عندما أفكر . . أكثر من مأفون ، مقزز . .

فيوليت : تذكر اتفاقاتنا .

سرج : لم أعد أنام في هذه الأيام الأخيرة ، مصيبة ، حادثة . . وينبغي على المرء أن يتغلب عليها . ولكن حين يكون الخطأ خطأك ، وحين يكون المرء قد أفسد كل شيء بنفسه نتيجة لحماقته . . . نتيجة . . .

فيوليت : (في حزن) أعتقد أنه لم يبق شيء للافساد ، وأنت تعلم.

سرج : لا نتيجة للحماقة فحسب ، بل بالخسة . . .

فيوليت : إلام ترمى ؟

سرج : أتَذْكُرين ، ذلك المساء الذى قدمت فيه حفلتك في « السكولا » ، عندما أقبل الجميع يهنئونك ، وكان من

الممكن الاعتقاد بأنك بدأت تصنعين لنفسك شخصية . .
حقيقيــة . . .

فيوليت : وبعــد ؟

سرج : لا أستطيع أن أقول لك كم حقدتُ عليك . . . لم تعودى تلتفتين إلىّ . . وفي غداة ذلك اليوم ، كنت شاردة في السحاب . . . قلت لنفسى لن تكون الحياة محتملة . وفي ذلك اليوم نفسه سألت سوزان لأول مرة إن كانت تريد أن تتزوجنى . . . حكاية بغيضة . . . أرجــو عفوك .

فيوليت : يا سرجى المسكين .

سرج : في الماضى ، لعلك تفهمين ، عندما فزت بأول جائزة لى ، راودنى الأمل في اننى سأكون شخصية . . شخصية حقيقية . . . ومن الواضح أننا لو لم نعش في تلك الفترة القذرة . . أنت لا تحقدين على كثيرا ؟ . . ولم أعد أثير اشمئزازك ؟

فيوليت : تشككت أول الأمر – فيما قلته من فورك . . . ثم ، من الشجاعة أن اعترفت لى بذلك . .

سرج : ليس هذا من الشجاعه في شيء . . إنه أشبه بمسألة الخطاب

فيوليت : دعنا من الحديث عن ذلك الخطاب ، أرجوك ؟

سرج : قلتِ إنك لن تصفحى عنى .

فيوليت : إنى اتبجح . . . كان ادعاءً أكثر من اللازم .

سرج : ماذا تقصدين ؟

فيوليت : لم يعد الصفح عن الاهانات فضيلة منذ أمد بعيد . أعنى

بالنسبة للعاديين من الناس . . ويبدو لى أحيانا أنه لا وجود لغير خطيئة واحدة ، ألا وهى السهولة .

سرج : بالنسبة للفنان .

فيوليت : انا لا أتحدث عن فنانين ، بل عن الحياة . وإذا كانت هناك عبارة تفزعنى فهى : « القيام بدوره » . واأسفاه ! يستطيع الناس تطبيقها علىّ كما تنطبق على الآخرين .

سرج : تخفين عنى شيئا ما ؟

فيوليت : ياسرجى المسكين ، لماذا تريد أن أخبرك بكل ما يُثْقِل علىّ ؟ لن يكون ذلك من الكرم أو من المفيد في شيء .

سرج : أيتعلق الأمر بمونيك ؟

فيوليت : كلا ، أؤكد لك أن مونيك ليست هى التى تقلقنى في هذه اللحظـــة . . .

سرج : ثمه شيء آخر يخجلنى . . . طيلة ذلك الوقت الذى كنت آتى فيه ، لم يكن حضورى في الحقيقة من أجل الصغيرة بل الأحرى أنه كان نوعا من التعلل ، فأنت تعلمين كم أنا . . . وقد خطر لى أن أسأل نفسى ألست أنا الذى حملت لها الشر حين استغللت مرضها .

فيوليت : يا صديقى المسكين !

سرج : أحيانا أترك من الأثر ما يتركه الرجل الذى لم يَكْبرُ . وكأنما توقف نموى دون أن يشعر بذلك أحد .... ربما كان ذلك في اللحظة التى فزتُ فيها بجائزتى .

فيوليت : كنت متعبا في تلك اللحظة تَعَباً . . .

سرج : يستولى علىّ في بعض الأيام حنين لما قبل ذلك . .

عندما كنت صبيا . . . حتّى للأماكن ، وللأشخاص الذين لم ينالوا إعجابى . عم عجوز . أبله قليلا . كانوا يصحبوننى إليه مرة كل عام . قرية صغيرة على نهر شارانت كنا نذهب إليها لنجمع الكريز . هناك مصنع في الوقت الحاضر . . .

أريد أن أقول لك شيئا . . . سوزان ، لم تُفْضِ إلىّ بشيء في الواقـــع . . حتّى نقودها . . . تعرفين حق المعرفة انى لست رجلا يهتّم بالمال . . . كل ما في الأمر . . . سوف تضحكين . . إنها تشبه خادمة كانت عندنا في المنزل أثناء أعوام اليسر ، قبل أن تمرض والدتى . . ولولا ذلك ما تزوجتها .

فيوليت : (في تأثر) يا صغيرى سرج . . .

المنظر الرابع

نفس الأشخاص . جيروم

جيروم : (في جفاء شديد) آه ! أرجو المعذرة . لم تخبرنى أختك . . . حسبت أنك وحـــدك .

فيوليت : (مخاطبة سرج) سأرى إن كانت مونيك قد استيقظت . . (تذهب إلى الباب وتنصت : تتلاقي نظرات الرجلين دون مودة .) لا أسمع شيئا ، لابد أنها نائمة ، نوبات السعال أرهقتها كثيرا .

جيروم : (بلهجة مصطنعة) ألم تتحسن ؟

فيوليت : السيدة جورنيه أكثر رضىً اليوم .

سرج : كان يسعدنى أن أقبل مونيك ، ولكن . . .

فيوليت : تجازف بايقاظها لو فعلت .

جيروم : (في عصبية شديدة) ليس لدىّ سوى بضع لحظات .

سرج : (يتأخرْ عامدا) لا أعرف بالضبط متى سأتمكن من المرور غدا . طلب منى تلميذى في شارع فولتير تغيير موعد درسه . أحيانا ، أطيل قليلا . . ألا يضيرك شيء لو أتيت حوالى الساعة السابعة والنصف ؟

فيوليت : لا أهمية على الاطلاق .

جيروم : كنت أريد بالضبط أن اسألك . . .

فيوليت : وإن لم أكن موجـودة ، يمكن أن تبلغك فرنانـد بالأخبار . . .

سرج : شكرا .

فيوليت : أو ربما كتبتُ لك كلمةً قصيرة .

سرج : (منفعلا) ومع ذلك ، فمن الطبيعى . . .

جيروم : (إلى فيوليت) أرجوك أن تخطرينى في المستقبل بالأيام والساعات التى تكونين مشغولة فيها .

سرج : إن كنت تقصد زياراتى بهذا التلميح . . .

جيروم : بالضبـط .

سرج : لا أقبل أن تأخذها بهذه اللهجة .

جيروم : (إلى فيوليت) ها أنت ترين هذه المقابلات إلى أى حد هى مزعجة .

فيوليت : (هامسة إلى سرج) اسمع ، سأكون هنا غدا حوالى الساعة السابعة والنصف ، ولكننى أطلب منك أن تتعهد الآن . . .

(يخرج سرج صامتا بعد لحظة من التردد .)

المنظر الخامس

جيروم ، فيوليــــت

جيروم : هذا غريب .

فيوليت : أنت تجشمنى كثيرا من العناء .

جيروم : تعلمين تمام العلم أننى لا أحتمل منظر هذا الشخص ، وأنا لا أفهم أنك لاترتبين أمورك حتى توفرى على هذا.

فيوليت : أتظن مثلا أن مقابلتك تدخل السرور على نفسه ؟

جيروم : سيان عندى !

فيوليت : أعتقد في الحقيقة أنك لاتتمتع بأية أريحيــة .

جيروم : جائــز .

فيوليت : وهذا شيء خطير :

جيروم : لاشيء يمنعنى من الحكم على هذا السيد بأنه خليق بالاحتقار التام .

فيوليت : أتساءل حقا ، بأى حق ؟

جيروم : لايمكن أن يختلف رأيان في سلوكه نحوك .

فيوليت : من حقي أنا وحدي أن أحكم عليه .

جيروم : ليس ذلك لأنك تظهرين نحوه وداعة غير مفهومة . . .

فيوليت : أنت تعلم جيدا أنه لم يغرر بي ، ولم يهجرني

جيروم : أساء استغلال افتقارك إلى الخبرة .

فيوليت : لم يسيء استغلال أي شيء على الأطلاق . أنا أعرف الحياة خيرا منه . كان طفلا ، ولايزال طفلا . واذا كنت قد سلمت نفسي إليه فأنت تعلم جيدا أن ذلك لم يكن نزوة . . . لست أدري ، كان ذلك أشبه بحاجة إلى عدم الاحتفاظ بنفسي ، عدم مراعاة المستقبل . ثمة حذر معين ، وشح معين يثيران فزعي دائما . . . ومن المحتمل أن هذا شيء لايعرف المقاومة .

جيروم : (في مرارة) ومع ذلك . فأنتِ فخورٌ به .

فيوليت : أنت مخطئ ، ياجيروم . هذه الفعلة لاتوحي إليّ بأيّ غرور . أوه ! كما أنني لا أخجل منها أيضا . كلا ، ولكنني لم أكتشف بعد كيف ينبغي الحكم عليها ، والنتائج أياً كانت لم تحمل إليّ أية معرفة عن هذا الامر.

جيروم : فليكن ! أما أنا فأزعم أنك إذا كنتِ قد أظهرت في هـــذه المناسبة كرما في غير موضعه . . .

فيوليت : يالها من كلمات تلك التي تقولها !

جيروم : لا أجد سواها . . . هو حريص حرصا مضاعفا على الرفض . . . ليس عليه إلا أن يرحل . . .

فيوليت : يرحل ؟ إلى أين ؟ وكيف يمكن أن يعيش ؟ هذا شيء مسرحي ياجيروم ، أما في الحياة . . .

جيروم : على كل حال ، كان من واجبه بعد مولد مونيك أن يتزوجك .

فيوليت : ومن أخبرك بأنني كنت سأوافق ؟ هذا غريب ؟ أنت الذى لاتعرف نفسك في حياتك ، أنت التائه فيها كأنك في غابة ، أنت تشيّد حياة الآخرين ، وتشق طرقا دون أن تشك أن هناك أحداثا في الأرض . وأخاديد لاسبيل إلى النفاذ منها . . . أولعلك لاترى حتى مايجيش داخل نفسك من اضطراب ؟

جيروم : (في صوت مكتوم) إنها تخنقنى .

فيوليت : أتراك اذن ، لاتعتقد . . . نحن مقضى علينا بأن نحيا في الظلام وأن نتَلمس طريقنا دون أمل ، ألا ينبغى علينا . . . لا أكاد أقدر على التعبير . . . أن نجد في ظلامنا ويأسنا مانساند به ومانهدى به أولئك الذين لايعرفون حتى أنهم في الظلمات ، ولا يراودهم الشك في أنهم يائسون ؟

جيروم : هذا كله خال من المعنى ، في نظرى . كيف تريدين أن يصدر النور عن ظلامنا ؟

فيوليت : ولكن ، إذا عرفناه ، ياجيروم . . .

جيروم : لن يعود ظلاماً إذا عرفناه .

فيوليت : سيكون كما هو ، ولن يعود كما كان . . .

جيروم : أنا لا أسمى هذا تفكيرا ، فأنه لايتجاوب عندى مع أية تجربة .

فيوليت : ومع ذلك ، هناك تجربة . . . كأنها تحول بديع في طبقة

الروح . . وربما لم يكن التحول إلى الايمان شيئا مختلفا عن هذا اختلافا كبيرا . .

جيروم : أهي آريان التي وضعتْ في رأسك هذه الأفكار الشائهة؟

فيوليت : ليست آريان ، بكل تأكيد ، ولكن من الجائز أن يكون حضورها .

جيروم : لن أدخل في هذه الفروق الدقيقة .

فيوليت : من المحتمل أنني لا أُحْسِن التفسير . ليس هذا ماتقوله بالفعل ، وإنما بالاحرى مجرد وجودها ، وأنها بالشكل التي عليه .

جيروم : إذا كنت قد اكتشفتِ سرها ، فأنت متقدمة عليّ .

فيوليت : من الذى تحدث عن سر ؟ في المرة الأخيرة التي تحادثنا فيها . . .

جيروم : لم تعد الموسيقى بالنسبة لك سوى ذريعة . . .

فيوليت : استحضرت دروب جبال الفوج التي أحبها كثيرا ، فهناك يمشون من قمة إلى قمة خلال ساعات طويلة. . أما نحن الآخرون ،فنتقدم في مشقة في الوهاد ، غير أن آريان تسير دائما على طريق القمـــة . . .

جيروم : القمة . . لا ارى في هذا كله غير استعارة رديئة .

فيوليت : لا أفهم .

جيروم : أعتقد أنه هذا الاسم السخيف : آريان . . . ولكن ، لنعود إلى تلك المحادثات التي لا تنقطع ، تصرين على ألا تفهمي أنها تترك في نفسي أشد الاحاسيس إيلاما . بل هذا القول لا يكفي . لقد قررت قرارا قاطعا ألا أحتملها

فيوليت : ولكنها سترحل .

جيروم : ومن الذى يضمن لى أن محادثاتكما لن تتصل عن طريق الرسائل ؟

فيوليت : الحقيقـــة . . . (تتوقف)

جيروم : ماذا تريدين أن تقولى ؟

فيوليت : كلا ، لا شيء . . .

جيروم : من يدرى ، ربما كانت آريان تشعر بالحقيقة شـــعوراً مُبْهَماً ، وربما اهتدت إلى هذه الوسيلة الجهنميـــة للتفريق بيننا ؟

فيوليت : لقد فقدت صوابك .

جيروم : منذ فترة من الزمن ، لم تَعُدْ كما كانت ، وما شعرتُ قط بأنها اغرب مما هى الآن . أوه ! ليس معنى هـــذا أنها أقل عاطفة نحـــوى . على العكس . ولكـــنى ، لا أستطيع تفسيرا ، كأنهـــا كانت فريسة لنشوة غير مفهومة . أنا أعرف أن هذا لا يتمشى مع الشكوك التى أعزوها إليها . . . اكتشفتُ — تصورى — أنها تؤلـــف كتابا ، نوعا من اليوميات الحميمة ، للمجهولين. آه ، للنشر بعد الوفاة ، على ما أظن . إنها واحدة أخرى من اللواتى أدارت « منسفيلد » رؤوسهن . أتحدّثتْ إليك عنه

فيوليت : قالت لى كلمة عنه .

جيروم : أقرأت عليك فقرات منه ؟

فيوليت : أجل ، بضع صفحات .

جيروم : هذا شيء خيالى .

فيوليت : حتما . . . (بلهجة أخرى) إذا كانت قد أحجمت عن الحديث إليك عنه . فذلك لأنها تعرف رأيك عن كتب اليوميات الخاصة .

جيروم : إنها لاتعلّق أية قيمة على آرائى الأدبية، أو على أى شىء أستطيع أن أكتبه بوجه عام .

فيوليت : وهذا غير صحيح : إنها معجبة بمقالاتك ، وقد انبأتنى بذلك .

جيروم : بل ربما كلّفتْك بترديده على مسامعى ؟ الدور الذى تلعبينه الآن بيننا لا يصدّقه العقل .

فيوليت : أنا ألعب دورا ؟

جيروم : غير أن هذا الموقف قد دام طويلا . . . وقد قررت أن أضع له حدا مرة واحدة وإلى الأبد .

فيوليت : أجئت إذن لتوديعى ؟

جيروم : عزمت على الطلاق ، وأن اتخذ منك زوجا . (صمت) أهذا كل مالديك من كلام ؟

فيوليت : (بصوت مستور) ستكون هذه حماقةً ، وفعلةً سيئةً .

جيروم : أصغى إلىّ يا فيوليت ، آن الأوان لانهاء هذه الترددات التى لا تفسير لها . وإذا كُنْتِ لسببٍ أو لآخر — وعلى كل حال ، لا حاجة لأى سببٍ — تريدين استعادة حريتك . . .

فيوليت : هذه كلمة خالية من المعنى .

جيروم : مـاذا ؟

فيوليت : الحرية لا ترسب في القاع ، ولا تطفو على السطح . وكذلك الحياة والحب .

جيروم : إذن ؟

فيوليت : إذا كنتَ لم تفهم حتى الآن أنني قد سلمتُ نفسي لك الى الأبد . وبلا شروط .

جيروم : هذه عبارات جميلة أكثر من اللازم . ولكني أرتاب فيها ، وغالبا ما توحي بها الكبرياء .

فيوليت : لا شأن للكبرياء بهذا الموضوع يا جيروم . وهذا الوفاء الذي أقصده شيء لا نعقد العزمَ عليه . بل نُقَرّبوجوده كالجُرْح ، أو كالعلة المستعصية على الشفاء . إن ذاتي نفسها هي المرتبطة بك أرتباطا لا انفصام له ، وليست إرادتي ، فهي لا تقدر هنا على شيء .

جيروم : لن يختلف حديثك عن هذا الموضوع فيما لو تحدثت عن مرض أو حالة حداد .

فيوليت : ليس ثمة ما هو سعيد فيما حدث لنا .

جيروم : لأننا مازلنا غارقَيْن في الكذب والتلفيق . ولكن ينبغي أن يتوقف هذا بحق . وحين تصبحين زوجتي . . .

فيوليت : أمام من سأصبح زوجتك ؟ نحن لا نؤمن بالله لا أنت ولا أنا . بيد أن القانون لا يملك تلك الفضيلة الصوفية التي تنسبها إليه . فهو لا يستطيع لشيء إصلاحا او تطهيرا . أو تقديسا — إلا في عيون بعض الغرباء الذين نستهزئ بهم نحن الاثنان .

جيروم : من الذي تحدث عن فضيلة صوفية ؟ المسألة تتعلق بمجرد

خلق موقف محـــدد .

فيوليت : على حساب الخيانة .

جيروم : إذا كانت آريان هي ما يشغل بالك . . . فقد انتهى بي الأمر إلى التفكير في أن زواجنا كان غلطة فادحـــة ، وليس لنـــا أن نستمر فيه إلى الأبـــد . وذلك المرض المستعصى الذى لا يفهم منه الأطباء شيئا ، والذى تخلوا عن علاجه ، وإن كانوا يحاولون في بعض اللحظـــات تخمينه ــ ذلك المرض كأنه علامة خارجية على علاقـــة مزيفة ، ملوثة من الأصل بأسوأ الأوهـــام .

فيوليت : اسكت . . أنت تتنكر لأفضل ما فيك . فلولاها : من يستطيع أن يقول كيف يكون مصيرك ؟

جيروم : إلام تلمحين ؟

فيوليت : (تعود إلى تمالك نفسها) لا شيء . . . مجرد اقتنـــــاع لا يصدر عن العقل .

جيروم : أتقصدين مثلا . . . .

فيوليت : (في تأكـــد) الآن ، بعد أن عرفت آريان . أرى في وضوح كل ما أنت مدين به إليها .

جيروم : لدى ما يكفيني من الاحساس بأنى مُعْدَم ، إنى أختنق ، إنى . . .

المنظر السادس

نفس الأشخاص ، فرناند

فرناند : (إلى فيوليت) تسلمت من فورى رسالة عاجلة ؛ أرجو أن تحيطى بها علما .

(تناولها ورقــة .)

فيوليت : ممن هذه ؟ آه ! . . . هذا لا يمكن أن يهمنى . أخبرتك بما فيه الكفاية أننى لا أريد أن أتدخل في هذا . . .

فرناند : أيعرف صديقك كل شيء ؟

فيوليت : كلا ، بالتأكيــد .

جيروم : ما الخـــبر ؟

فيوليت : أؤكد لك ، أنه لا شيء على الاطلاق .

فرناند : (تناول الورقة لجيروم) تستطيع أن تقرأ . (جـــيروم يتناول الورقة)

جيروم : (ناظرا إلى التوقيع) يا سيني . . . متعهد الحفلات ؟

فرناند : بالضبــط .

جيروم : إذا كان الأمر يتعلق بالتزام . . .

فرناند : لا بالتزام فحسب .

فيوليت : (ثائرة) مرة أخرى . . .

جيروم : لماذا كل هذه الألغاز ؟ في ذلك اليوم ، فعلا . . .

فرناند : إنه يهتم اهتماما خاصا بفيوليت التى بعــد أن ابــدت تقديرهـــا . . .

فيوليت : غيره صحيح .

فرناند : . . . أَعْرَضَتْ عنه بغتةً .

فيوليت : كما يفعل من هُنّ على شاكلتى !

فرناند : سيتغيب عدة أسابيع ، فهو يدعوها إلى التفكير للمـــرة الأخيرة .

فيوليت : ما أطيبـــه !

فرناند : إلا إذا كان صديقك مستعدا لضمان مستقبلك ، وهذا ما لايبدو لى متجاوبا مع نواياه ، أو حتى مع إمكانياته . يخيل إلى أنه يحسن بك النظر مرتين قبل أن ترفضى نهائيا .

جيروم : أختك على حق . . .

فيوليت : وهذا معناه ؟ . . .

جيروم : الاختيار المعروض عليك واضح تمام الوضوح . فـــإذا كنت ترفضين اقتراحي . . .

فيوليت : وبعـــد ؟

جيروم : ها أنذا أعيده عليك : لا يمكن أن يستمر الموقف الحالى بأى حال من الأحوال . فاذا كنت ترفضين أن تكونى زوجتى ، فمعنى هذا ببساطة أنك مستعدة لقبول شروط هذا الشخص .

فيوليت : جيروم . . .

جيروم : (إلى فرناند) أشكرك على أنك ألقيت هذا الضوء على المناقشة . . فانه ينيرها كوضح النهار .

فرناند : في حالة تحقيق هذه الخطة الزوجية اللطيفة ، أيكـــون مما يجافي اللياقة أن اسأل كيف تدبرين معيشة هذا الثلاثى؟ لا أظن أنك تأملين في الحصول على معاش من السيـــدة ليبريير .

جيروم : على كل حال لم تدخل المسألة المادية هنا في حسابنا .

فرناند : مرحى ! هذا رائع . أنا في حالة إعجاب .

فيوليت : (التى لم تَسْمَع) مجمل القول أنك تضحى أمام اختيار الزواج أو الدعارة .

جيروم : إذا كانت تعجبك مسرحة الأمور ، فليس في وسعى أن أمنعك . . . كل ما في الأمر أننى بسبيلى إلى التفكير في شيء فاتنى . (إلى فرناند) هذه المرة أيضا ، هديتنى إلى الطريق . رب ضارة نافعة .

فرناند : أنا ضارة ؟ يا له من خطأ ! أنا . . . ماذا أقول ؟ واقعية أكثر من اللازم قليلا ، هذا كل ما في الأمر .

جيروم : بدأت أظن أن اختك لا تقل واقعية عنك . (إلى فيوليت) (من الواضح أنك تحدثين نفسك بأن زواجك منى يوصد بعض الأبواب ، وبأنك ستتخلين مقدما عن بعض . . . الفرص . ومن هم على شاكلة باسينيي يتكاثرون ، ثمة من هم أقل إشراقا ، ومَنْ شهرتهم أقل ذيوعا !

فيوليت : جيروم ! أأنت جاد في اعتقادك هذا ؟

جيروم : هذا هو التفسير الوحيد ، وهو كاف بذاته . غير أن ما يُحْنِقُنى إلى أبعد حد ، هو نوع العذر الأخلاقي أو العاطفى الذى تخيلته .

فيوليت : كيف ؟

جيروم : إنى أرى الآن فيم أفادتك تلك الصلة الحميمة المزعجة التى جاءت في غير موضعها ، أجل ، لابد أنك انتهيت إلى اقناع نفسك بأنك مراعاة لصديقتك الجديدة ترفضين وضع حد لهذه الأكاذيب اليومية .

فيوليت : إذا كان هذا هو رأيك فى ، فلست أفهم جيدا لماذا تطلب منى أن أكون زوجتك . ؟

فرناند : اطمئنى ، فقد كان يعتمد على رفضك ؛ وهذه طريقة لا تكلف كثيرا فى مصالحة ضميره .

جيروم : هذا باطل .

فرناند : وفضلا عن ذلك ، فان مماحكاتكما لا تهمنى بتاتا . (دقات على الباب) ما هذا ؟ (توارب الباب ، ونسمع صوتا من الخارج .) طيب . أمن الضرورى أن تعودى غدا ياسيدتى ؟

فيوليت : أهى السيدة جوكييه التى تهم بالانصراف ؟

فرناند : أجل .

فيوليت : أرجو أن تطلبى منها أن تكون هنا ابتداء من الساعة التاسعة ان أمكن ؟ (تخرج فرناند ، وتغلق الباب خلفها.)

المنظر السابع

جيروم ، فيوليت

جيروم : أكانت شريرة دائما على هذا النحو ؟ (إشارة تهرب من فيوليت .) أرجو ألا تكون تلك التعريضات قد . . .

فيوليت : أنا مقتنعة بأنك مخلص . . ولكنك ها أنت ذا تجرحنى مرة أخرى .

لم أكن أظن قط أنك تستطيع الاعتقاد بأنى أسعى لغرض

جيروم : من الطبيعى على كل حال أن تنشغلى بمستقبلك ومستقبل مونيك .

فيوليت : أعلنت لتوك أن المسألة المادية . .

جيروم : هذه صبيانية . لم أقل هذا الا لأن فرناند تعجز عن الاعتقاد في عاطفة نظيفة نوعا ؛ كريمة نوعا . . أتَرَيْن ، عند ما يبدو عليَّ أنى متحامل عليك ، مرتاب فيك ، فذلك لأنى غارق . . .

فيوليت : أجل .

جيروم : هذا غريب ، بل إنه مخجل إلى حد ما ، ولكن منذ أن حل بنا الخراب ، أحسست حقا بكل مافي الوجود من عبث وتعقيد .

فيوليت : أعتقد أنه لا ينبغى الخجل من هذا الشعور . ثمة أعتاب لا يسمح الفكر — إذا اقتصر على موارده وحدها — بتخطيها ، لا بد من تجربة ، تجربة الفقر ، أو تجربة المرض .

جيروم : أجل ، ولكن هذا مُريع ، ومثير للشك . وذلك لأن هذه التجربة تشوهنا أيضا . آريان ، مثلا . . . والمسيحيون ؛ كأنهم يعتقدون أن العجزة والمحرومين يتمتعون بميزة ، أجل . . . لست أدرى . . . أنهم استردوا الاستخدام السوىّ لحواسهم ، وكأنهم أزالوا الغشاوة التى تعمى أبصارهم . . أما أنا فلا أومن إلا بالسعادة . إن السعادة رائعة . . يافيوليت .

فيوليت : آريان أيضا تؤمن بالسعادة . .

جيروم : ولكن ، علام تطلق هذا الاسم ؟ أتذكرين تلك المقطوعة التى كتبها شومان للبيانو في « مشاهد الأطفال »

تحت عنوان : السعادة الكاملة » . لم أستطع الاستماع
إليها قط دون أن أشعر برغبة في البكاء .

فيوليت : وأنا أشعر مثلك .

جيروم : نوع من الامتلاء الذى يتجاوز كل حد ، وكأنما
نريد أن نحتضن الناس والأشياء ، والحياة نفسها .
وعندما تعزفين ، هذا هو ما أسمعه . نشوة هادئة .
الجنة الضائعة ، ترديها إلينا . الأسطورة تكذب، إننا لم
نطرد من الفردوس . إنه هناك ، قريب كل القرب ،
قريب حتى لنستطيع أن نراه . أو الأحرى إن الحياة
تحجبه عنا . هل خطَرَ على بالك قط أن الرغبة في
الموت معك قد راودتنى أكثر من مرة ؟

فيوليت : كلا ، يا عزيزى ، لم يخطر لى ذلك .

جيروم : غير أن هناك ابنتك الصغيرة . ثم إنى أتصور أننا لو
وَهَبْنا أنفسنا للموت ، فانه لن يُسْلِم إلينا أنقى
أسراره .

فيوليت : (بصوت متهدج) لابد أنك على صواب ، ينبغى
ألا نريد الموت . (صمت)

جيروم : (في حماس) يبدو لى أننا سنخرج في نهاية الأمر من
نفق . أتفهمين ، لو وصلنا إلى تطهير علاقتنا ، وهذا
معناه ببساطة أن تكون لنا الشجاعة في تحمل مسئوليتها ،
فربما أصبح كل شيء أسهل ، ستزول العقبـــات ،
حتى مسألة النقود البشعة التى تنخر في أعماق نفسى
أحيانا ، والتى تحول بينى وبين النوم . . من يدرى
ربما انحلّت من تلقاء نفسها على نحو لا نستطيع أن نتخيله

اليوم ؟ وأظن أنه لا ينبغي أن نحاول تصور كيف ستحل . فهذا افتقار إلى الايمان . أتفهمين ؟

فيوليت : أنت لا تتحدث كعادتك .

جيروم : ذلك لأنها سترحل . عندى إحساس بأن هذا الرحيل لن يكون كغيره .

والأمر يتوقف علينا في أن يتغير شيء ما إلى الأبد .

فيوليت : (بصوت خفيض) والتفكير حقا في عذابها هي . . .

جيروم : لقد تخليت مرة واحدة وإلى الابد عن أن أضع نفسى في مكانها — لأننى لم أنجح في ذلك قط . وعندما أردت أن اتخيل مشاعرها . كانت تأخذ على عاتقها دائما أن تبين لى انخداعى في مشاعرى الخاصة بى . تصورى ما يمكن أن يحدث عندما يريد المرء تحديد معالم صورة أو حادثة وقعت في بُعْدٍ مجهول يختلف عن الأبعاد المعروفة . وأسائل نفسى : ألا تعيش آريان في فضاء آخر . لا نستطيع الاتصال به ؟

فيوليت : فلتتشكك في ذلك على كل حال . إن من مصلحتنا الكبرى ان نستبعد هذه المشاعر في ركن سحيق . حتى نستطيع ألا نحسب أى حساب . . .

جيروم : توافقين . أليس كذلك ؟ هذه فرصتنا الوحيدة . يافيوليت . أن تقولى لا . معناه أن تهجرينى . (صمت . فيوليت تمد يدها إليه . يتناولها . ثم يقبلها في حنان مطمئن)

فيوليت : هناك من يدق الجرس ... أخشى أن تكون آريان . أبلغتنى أنها ربما جاءت لتوديعى في آخر النهار .

جيروم : لا أريد أن أراها . . لقد أحضرت لُعْبة صغيرة لمونيك . ألا أستطيع أن أعطيها لها ؟ وسأخرج بعدها فورا .

فيوليت : سأرى إن كنت تستطيع الدخول ..(تذهب إلى باب اليسار . وتفتحه في رفق .) ياعزيزتى ، إنه صديقك جيروم يريد أن يأتى لتقبيلك ، وأظن أن لديه مفاجأة لك . (جيروم يدخل إلى اليسار ، تغلق فيوليت الباب خلفه في رفق ، يدق جرس الباب من جديد ، تجتاز فيوليت الحجرة . وتمر إلى اليمين ، تفتح الباب الخارجى ، وتعود مع فيليب .)

المنظر الثامن

فيليب ، فيوليــت

فيليب : أنا شقيق السيدة ليبريير يا آنسة تـحَدثتْ إلىّ أختى كثيرا عنك ، وهى تحمل إعجابا عظيما لموهبتك . جئت لأسئلك إلى كنت توافقين على تدريس مبادئ الكمان لابنى الصغير الذى يبلغ التاسعة من عمره .

فيوليت : أنا في غاية من التأثر ياسيدى ، لأن السيدة ليبريير . . .

فيليب : جاك يتمتع بأذن مرهفة ، وهو يحب الموسيقى حبا جما ، ولن يكون — على ما أظن — تلميذا مزعجا . فكرت في أول الأمر أن يتعلم العزف على البيانو ، ولكنى لست أدرى لماذا يفزع من البيانو ، على حين أن الكمان يغريه .

فيوليت : هذا شيء كثير الوقوع .

فيليب : وللبداية ، نصف ساعة مرتين في الأسبوع تكفيان بلا

شك . وستحضر المربية أثناء الدروس بحيث تستطيع الاشراف على مذاكرة الطفل .

فيوليت : بديع .

فيليب : إما أن تأتى إلى المنزل ، أو أن يتلقى جاك — على العكس — دروسه هنا . حسب اختيارك . وفيما يتعلق بالشروط فأرجو أن تصارحيني بها دون تردد . . . فأنا حريص كل الحرص على أن ينال تكوينا موسيقيا جيدا .

فيوليت : سنتفق في يسر . ياسيدى . وأرجو أن تتفضل بتحديد الأوقات المناسبة بوجه خاص .

فيليب : سأكتب إليك . هذا رائع . . . لا أظن أننى استمتعت بالاستماع إلى عزفك . يا آنسة .

فيوليت : لم تسنح لى فرصة العزف في الحفلات إلا نادرا .

فيليب : أود أن أقول لك إن ترددى عليها يقل شيئا فشيئا . ذلك أن ما تتسم به البرامج من عدم التناسق والرتابة يثير أعصابى . . . في الماضى . عرفتنى شقيقتى كثيرا من الأعمال الموسيقية . ولكن . لسوء الحظ منذ أن أخذت تعيش طول العام تقريبا في الجبل . . . والواقع . انكما لم ترتبطا . إذا كنت قد فهمت جيدا . إلا منذ عهد قريب جدا . . .

فيوليت : لم أر السيدة ليبريير قط قبل هذه الأسابيع الأخيرة .

فيليب : إنها تُكِن لك عاطفة خاصة جدا .

فيوليت : وأنا نفســى أضمر لها . . .

فيليب : أجل . إن أختى امرأة غير عادية حقا .

فيوليت : إنها موسيقية مرموقة .

فيليب : أأنت واثقة من أنها فنانة ؟

فيوليت : لكن . . .

فيليب : سأقول لك فورا إنني لست مقتنعا بذلك . بل لا أعتقد فيه . وعندما أقارنها بأبي الذى كان موسيقيا حقيقيا ، يصدمني الاختلاف . فالفن – في نظرها – على ما يبدو لى ، وسيلة قبل كل شيء .

فيوليت : لست أفهم جيدا .

فيليب : من الصعب تفسير ذلك . . وفضلا عن ذلك ، فـان شقيقتي ليس من السهل معرفتها .

فيوليت : كلا ، لا أظن .

فيليب : إلا اذا كشَفَتْ هى عن نفسها . . . هذا شيء في غاية الغرابة : إذا كان الجبل قد أصبح بالنسبة لها شيئا لا غنى عنه ، فلا أعتقد أن ذلك لأسباب صحية ، وإن تكن هى طبعا واثقة من العكس . يبدو لى بالأحرى أنها تشعر بحاجتها إلى الحياة في منظر يرمز عندها إلى أمانيها الخاصة

فيوليت : هذا طبيعى بما فيه الكفاية . . .

فيليب : لست متأكدا من ذلك . . سافرنا معا في الماضى عديدا من المرات . وانى لأتذكر بعض البلاد الساحرة التى لم تكن تطيقها ، خذى مثلا ، التورين أو الألزاس وهى ماتطلق عليه اسم « البلاد السهلة » . ولم أبدأ في أن أفسر لنفسى ماتستحسنه أختى وماتستهجنه إلا عندمـــا اكتشفتُ . . ولكن ، لست أدرى لماذا شرعت في هذا التفسير النفسى

من الممكن أن يكون هذا كله خاليا من المعنى أو من النفع بالنسبة لك . إن آريان تُرجِعْ كل تجاربها — ربما دون أن تشعر — إلى فكرة معينة عن نفسها ، افهميني جيدا ، أنا لا أريد أن أقول رأيا بحال من الأحوال ، إنها من شدة الذكاء بحث لايمكن أن تكون مغرورة إنها فكرة أشبه بالجو أو بالمناخ ، لاتستطيع —حرفيا — أن تحيا خارجها ، أو أن تتنفس .

فيوليت : هذا شيء في غاية الغرابة .

فيليب : والأمر على هـــذا النحو — بكل تأكيد — فيما يتعلق بالأشخاص الذين تتردد عليهم . وإيثارها الواضـــح للمريضات يأتى من هنا على الأرجح . وهذا الميل الذى لاتستطيع أن تعترف به لنفسها دون أن تجعله يختفى — قد كان أحيانا مصدر بعض أفعالها الطائشة . . .

فيوليت : لكن . . .

فيليب : والتى كانت عواقبها أو كان من الممكن أن تكون — وخيمة ، ينبغى أن نرى الأشياء كما هى ، يا آنسة في ولع أختى بالعلاقات الفريدة ، يدخل عنصر من الانحراف اللاشعورى .

فيوليت : أفهم فهما سيئا جدا يا سيدى ، كل هذا أرهف من اللازم ، فضلاعن أنه لايخصنى في شيء . . . إذا أردت أن تكتب إلىّ عما تحدثنا عنه في البداية . . . ولكن ، أرجوك ألا تجدد هذه المحادثة ، فأنا أعترف لك بأن . . .

فيليب : سيكون لك ماتريدين يا آنسة . ستصل إليك كلمة منى غدا في أول بريد . (تصحبه فيوليت إلى اليمين ، وتفتح

الباب الخارجى ، نسمع صيحة تعجب ، ثم صوت آريان .)

آريان : (من الخارج) لو كنت أتوقع أن التقى بك هنا !

فيليب : (من الخارج أيضا) ستشرح لك الآنسة مازارج .

آريان : ألا تعود لحظة ؟

فيليب : لابد أن أذهب لارتداء ملابسى ، سأتناول العشاء في المدينة . إلى اللقاء ، يا آنسة . (ضجة اغلاق الباب ، تدخل آريان مع فيوليت .)

المنظر التاسع

آريان ، فيوليت

آريان : أتعلمين أننى حائرة ؟

فيوليت : (مرتبكة) جاء أخوك ليطلب منى إعطاء دروس لابنه الصغير .

آريان : يالها من فكرة عجيبة ! . . . على كل حال ، هذا حسن جدا . كيف حال الصغيرة ؟

فيوليت : أحسن بشكل محسوس ، خفت النزلة الشعبية كثيرا .

آريان : ما أسعدنى ! كنت مُعذبة قليلا من ناحيتها .

فيوليت : شكرا . . .

آريان : (متفحصة لها) كانت زيارة أخى مزعجة لك . .

فيوليت : كيف ذلك ؟ أنا لا أعرفه على الاطلاق .

آريان : ألم يخطر على بالك — مثلا — أنه جاء مدفوعا بحب الاستطلاع ؟

فيوليت : لم أسمح لنفسى بالتفكير في هذا .

آريان : لست واثقة من أنه غير خليق بهـذا . . . وحتى إذا ساوره الشك . . . لاأظن أنه سمح لنفسه بأى تلميح فهذا عمل شائن . . .

فيوليت : أعترف لك بأننى لم أحسن الفهم . . . ومع ذلك ،خمنتُ بأن لديه سببا آخر . . لاتصرى أرجوك . فأنا لاأستطيع — حتى لو أردت — أن أعيد عليك أقواله بالضبط . كان شديد الدقة ، شديد . . .

آريان : (في عذوبة) ولكنك فهمت على كل حال انها موجهة ضدى ؟ . . . أنا متأكدة ، يافيوليت . اترين ، لقـد نشأ بيننا موقف أليم جـدا ، لم أعـد أراه بوضوح إلا بصعوبـة . تعلمين طبعـا أن أخى مُطَلَق . وكانت كلاريس « زوجته » إحدى صديقات طفولتى ، ولهذا سبب لى هذا الانفصال ألما شديدا ، وقد بذلت أقصى جهدى حتى اللحظة الاخيرة لكى يرجع عن قراره ، وهذا مالم يغتفره لى . واعترف بأن لزوجته مانسميه « بالأخطاء » . وبالاضافة إلى ذلك أفضت إلى زوجها بكل شيء في صراحة تعجز عنها كثير من الأخريات . والواقع أن أخى ليس بريئا عن المسئولية في هذهالمسألة . فهو الذى اجتذب « جليير دوبلين » ، وهو الذىأدخله في حياتهما الخاصة . وأستطيع أن أقول عن يقين إنه كان يسره أن يقرر أن هذا الفتى الذكى الرشيق الملول يجد متعة في التحدث مع زوجة أخى ، كما أوجد له اغراء كاد أن يصبح بالنسبة له هو غير محسوس .

فيوليت : أؤكد لك انني محرجة جدا في الاستماع إليك . فكل هذا لايخصني في شيء . . .

آريان : أنت مخطئة يافيوليت ، فلاشيء يبدولي اليوم أشد ظهورا من التسلسل الذي يربط بكل هذه الحكايات فيما بينها ، حيث نكون في وقت واحد متفرجين وممثلين ، فبعضها يلقي ضوءا على بعضها الآخر . وهذا ما أدركه الروائيون ولهذا السبب كانوا هم وحدهم الذين يكشفون لنا في ومضات عن المعنى الحقيقي للحياة . لقد حكم على أخي بأنني ضد الطبيعة ، لأنني على حد قوله قد وقفت ضده في صف اثنين من المذنبين . والغريب أن النفوس القوية – وهو يباهي بأنه واحد منها – يحشرون في أغلب الأحيان كلمات مثل : الخطأ والحكم والادانة. وقد أتى اليك مدفوعا بنوع من الهجوم المضاد الذي لامعنى له ليحذرك تحذيرا غامضا لا أدري له معنى . . . ياله من مسكين فيليب ! إنه ليس سعيدا ، وإن أعلن أنه راض – وكلاريس التي لايعزيها شيء عن فقدانها لابنها ستصاب إن عاجلا أو آجلا بالسل . أما فيما يتعلق بجليبير دوبلين ، فالمسألة فريدة من نوعها : إذ يبدو أنه انفصل عن كلاريس منذ أن أصبحت وحيدة . ولن يتحدث الناس أبدا بما فيه الكفاية عما يدخل من شذوذ مقنع فيما يسمونه بالعلاقات السوية بين الرجل والمرأة

فيوليت : هذا كله مخيف .

آريان : (بلهجة متغيرة) ستأتي زوجة أخي لقضاء بعض الوقت معي في الجبل . ولن يكون من المستحيل فيما بعد أن أطلب منك زيارتها في منزلها .

فيوليت : ولكن . . . بأية ذريعة ؟

آريان : أعتقد ببساطة أنك تستطيعين إفادتها ، ثم إننى أحب أن يتعارف أصدقائى .

فيوليت : أتعلم شيئا ؟ . . .

آريان : تحدثت إليها عنك ؛ ومن الممكن أن تكون قد خمنت .

فيوليت : هذا مؤلم بما فيه الكفاية .

آريان : سأكتب إليك باسهاب . ولكن قد يحدث لى أيضا أن أبقى زمنا طويلا دون أن أعطيك شيئا من أخبارى ، فلا ينبغى أن تأخذك الدهشة . لم أكن قط مُرَاسِلَةً منتظمةً . فضلا عن أن حالتى الصحية ما كانت لتسمح لى .

فيوليت : ينبغى أن اقول لك . . . إن جيروم قد حضر هنا منذ لحظة . . . كان متجهما . . وشديد التوتر .

آريان : إنه دائما على هذا النحو عندما أُوشك على الرحيل .

فيوليت : ثمة شيء آخر ، ليس من حقى أن أخفيه عنك . . . (تتوقف) .

آريان : تكلمى بلاخوف ، ياعزيزتى . تعلمين أننى أستطيع الاستماع إلى كل شيء .

فيوليت : قال لى للمرة الأولى إنه قد عقد عزمه على . . . الطلاق ، وعلى الزواج منى .

آريان : أقال لك ذلك جادا ؟

فيوليت : جادا كل الجد .

آريان : وبم أجبت ؟

فيوليت : قاومت ، وحاولت أن أثبت له أن هذا مستحيل .

آريان : ولماذا مستحيل ؟

فيوليت : ثم . . انني لا أستطيع حتى أن أشرح لك ما حدث . . . من المؤكد أنه أعتقد أنني سأوافق .

آريان : والحقيقة ؟

فيوليت : (بصوت خافت جدا) لست أدرى . ربما كان ذلك . . متوقفا عليك .

آريان : (بعد صمت طويل) يبدولى — ياعزيزتى — بصفة قاطعة أنك لاتستطيعين إبلاغى بشىء أسعد من هذا . هذا الحدث . . .

فيوليت : ولكن لا وجود لأى حدث .

آريان : لا أستطيع أن أقول بأمانة إننى قد تمنيته . أولا ، لأننى منذ أن مرضت ، لم أعد أعرف ما تعنيه كلمة « التمنى » . . . ثم إن المرء — كما ترين — لا يمكن أن يكون قويا كما يريد . . . وفي مرحلة العمر التى بلغت نهايتها اليوم ، كان هناك إلى جوار كثير من الأحزان ، وكثير من التمزقات ، ساعات لا يمكن أن افكر فيها دون أن يستولى علىّ شعور عميق بالعرفان .

فيوليت : لماذا لا تقولين : دون ندم محرق ؟

آريان : كلا ، يافيوليت ، أؤكد لك ، وإذا كنتُ قد عرفتُ الندم ، فذلك منذ زمان بعيد ، في مرحلة لم أكن قد اجتزت فيها المحن التى نخرج منها في نهاية الأمر بالغين سن الرشد . الشعور بالتطور يخلو عندى من كل مرارة ،

بل الأولى أنه مصحوب بضرب من العاطفة الاحتفالية و . . أجل . بل أستطيع أن أقول . . . الدينية . وهذا ما سأشعر به بلا شك في لحظة الموت إذا كنتُ بكامل وعي . . .

فيوليت : أنت تحلقين في الأعالى . . . على حين أننى أجرر نفسى ، وأتعثر فـــى أحجار الطريق جميعا .

آريان : أنا لا أحلق يافيوليث ، حينذاك أكون — في نظرى — كالممثلة الهزلية إذا أعطيتك هذا الانطباع .

فيوليت : لو كنتُ في مكانِك ، وكنتِ في مكانى ، فأنا واثقة أنك كنت تبعثين الرعب في نفسى . . وكنت أقول في نفسى : لقد أشرفت على نهاياتها .

آريان : لن تفكرى في شيء كهذا . أولا . ، ما معنى مكانى ومكانك ؟ ليس في وسعك أن تكونى مكانى إلا إذا أصبح عذابى الذى مضى عذابك .

فيوليت : إنى أخجل من . . .

آريان : هذا آخر شعور يتاح لك أن تكابديه . . . والحقيقة أنك حين سألتنى ، وحين شكوت من أنك وصلتِ طريق مسدود ، أحسست بأنه لا وجود ، لمخرج آخر ، لا بد أن يأتى القرار من جيروم ، ولا يمكن أن يصدر إلا عنه ، نحن لا نستطيع أن نتعجل شيئا ، أو أن نفتعل شيئا مباغتا — ولكن هذا ، لم يكن من حقى أن أقوله لك ، وإلا ثارت ثائرتك .

فيوليت : لا أشعر في هذه اللحظة إلا بحزن هائل .

آريان : هذا من الاضطراب ، لا من الحزن ، صدقيني . . . كل ما أريد أن أفهمه . . . ما الذى دفع جيروم – في رأيك – إلى مواجهة المستقبل بهذه الطريقة الجديدة تماما ؟

فيوليت : (مضطربة) لم أفسر لنفسى ما حدث على الاطلاق . . هذا الموقف الملتبس أصبح لايطاق بالنسبة له .

آريان : ماذا تعنين بالموقف المُلْتَبِس يافيوليت ؟

فيوليت : هذه العلاقة الحميمة التى نشأت بينك وبينى .

آريان : (بخشونة) لم تخبريه بالطبع بأننى على علم بعلاقتكما ؟

فيوليت : كلا . . . فقد وعدتك . ولكن . . هذا الازدواج الذى نسبه إلىّ وَضَعَه في حالةٍ عصبية لا يمكن تصورها . بلغ به الحال إلى أن يوجه إلىّ منذ لحظة اتهامات أشد ما تكون ظُلْماً ، وأشد ما تكون تجريحا . . . (لاتستطيع الاستمرار)

آريان : لست أفهم جيدا : فيم كانت ازدواجيته أقل من ازدواجيتك ؟ وبأى صفة يجعلها جريمة منك ؟ . . . ألا تعتقدين بالأحرى .... ؟ ألا يدخل فيما سميته عصبيته قليل من الغيرة ؟

فيوليت : كيف ؟

آريان : من ناحيتى .

فيوليت : (في وهن) أجل . . أرى . .

آريان : كان لا ينبغي – أتفهمين – أن يملى عليه هذا القـــرار الخطير – حتى ولو بقدر ضئيل جدا – غيظ سخيـــف

عابر ، لا أعتقد أن جيروم خليق يمثل هذه الصبيانية .

فيوليت : وكيف نعرف ؟

آريان : يبدو لى أن التردد ينبغى ألا يكون شيئا ممكنا بالنسبة لك امرأة مثلك – يا فيوليت – صادقة كل هذا الصدق ، وعميقة كل هذا العمق ، ينبغى ألا تنخدع في طبيعة ، أعنى ، في صدق مثل هذا القرار .

فيوليت : حين استمعت إليه لم يساورنى أى شك ، ولكن الآن . .

آريان : يجب إذن أن تتمسكى بهذا اليقين ، لا مجال للشك فيه . . أكان يبدو على جيروم أنه مهيأ للتحدث إلىّ قبل رحيلى؟ تعلمين أننى سأرحل بعد غد . .

فيوليت : لم يقل شيئا .

آريان : كما هو دائما ، أعتقد بالأحرى أنه سيكتب لى .

فيوليت : (بلهجة استفهامية) ألا يمكن أن تتخذى أنت الخطوات الأولى ؟

آريان : هذا محال تماما، إذ ينبغى علىّ في هذه الحالة أن أصرح بمحادثتنا ، ومن ثم اكشف له عما ينبغى أن يجهله دائما

فيوليت : حتى بعد أن . . . ؟

آريان : إلى الأبد ، يا فيوليت : صدقينى ، وأنا أؤكد ذلك في سبيل مصلحتك .من الممكن أن يكون جيروم انتقاميا ، فلو اكتشف أن قد كان بيننا هذا النوع من التواطـؤ – أرجو المعذرة – فأنا لا أجد كلمة أخرى . فإنه سيكون الشخص الذى لن يغتفر لك ذلك أبدا .

فيوليت : من المحتمل أنك على صواب . . ولكن أخشى ، عن طريق الخطاب . . .

آريان : ليست هذه إلا مسألة ثانوية . . .

فيوليت : ولكن أنت ،ولكن أنت . . هادئة تمام الهدوء ،مسيطرة على نفسك تمام السيطرة . . . كان جيروم على حـق ، كأنك تنتمين إلى عالم آخر .

آريان : أقال ذلك ؟ . . . كلما مضت اللحظات ، أحسست أنني أدخل حقا في عالم السلام . في اللحظة الأولى . . .

فيوليت : لم تظهرى شيئا .

آريان : ربما كان شطر من مهمتي قد اكتمل . منذ سنوات — أتعلمين . . شاهدتُ الموت أقرب ما يكون الىّ ،وحكم علىّ الأطباء بالمـوت وكان التفكير في جيروم ، وفي مستقبله ، يسبّب لى قلقا لايُحتْمل . فتوجهتُ إلىالسماء أنا التي لاتصلى أبدا — بالصلاة الأنانية الوحيـدة التي احتفظ بذكراها . لم أطلب الشفاء ، بل أن أحيا طالمـا احتاج إلىّ . لم تكن غريزتى هى التى صلت ، بـل بالأحرى عقلي ، وتفكيرى . . ومنذ اليوم ، لم يعـد لى أن أتوجه إلى الله بهـذا الالتماس . . . المدَنّس إلى حدما . . .

فيوليت : ولكنك على ما يرام الآن .

آريان : ليست هذه — على ما أعتقد — سوى فترة ركود — فمنذ عدة أيام ، لاحظت من جديد أعراضا معينة . . .

فيوليت : آه ؟

آريان : لم يعد لهذا أهمية كبرى .

فيوليت : ربما جعلها هواء لوني ، وشمس الجبل – تختفي . . .

آريان : ربما . . . ولكن ثمة مسألة على أكبر جانب من الخطورة ليس من حقنا أن نتجاهلها اليوم ، وأعني بها المستقبل المادى . أنت تعلمين أن جيروم لا يملك أية ثروة شخصية وكلنا يعلم إلى أى حد تفتقر حياة الفنان اليوم إلى الاستقرار . وفي الوقت نفسه لا أعرف مخلوقا يستطيع أن يتكيف في مشقة مع عدم استقرار معين يمكن – على العكس – أن يحتمله من هم أشد صلابة وأكثر تكيفا دون عناء . وقد اتفق أنني أتصرف من ناحيتي في ثروة، إن لم تكن طائلة فهى . .

فيوليت : لا أدرى ما سوف تقولين ، ولكن أتوسل إليك . . . مسألة النقود هذه إنها كابوس .

آريان : إذا حاولت الهرب منها فحسب ومن المستحسن معالجة هذه التفاصيل المادية التعسة بدلا من إشاحة البصر عنها على هذه النحو ، بل يجب على العكس النظر إليها وجها لوجه ، وهذا ما أطلب منك – يا فيوليت – أن تصنعيه معى ، لابد من الاهتداء إلى حل . إذا انساق جيروم إلى أن يحيا معك حياة مزعزعة ، مضطربة ، فهنا ستكون الكارثة ، أنا على ثقه من ذلك . فلا بد إذن من تخيل وسيلة تسمح لى بمساعدتك في تدبير بيتك دون أن يعلم جيروم شيئا .

فيوليت : مستحيل . !

آريان : تريدين أن تقولى مستحيل من الناحية العملية ؟

فيوليت : أولا . . .

آريان : لا أعتقد في شيء من هذا ، إذا اردنا أن نجد وسيلة ، وجدناها .

فيوليت : لا من الناحية العملية فحسب .

آريان : احذرى ، يا فيوليت ، فهنا يمكن أن يصبح الطريق خطيرا . لا ينبغى بأى ثمن أن يتدخل هنا حب زائف للذات .

فيوليت : إنى أسمى هذا . . . كرامة .

آريان : هما شئ واحد في نهاية الأمر .

فيوليت : ثم أخيرا . . . أن أغرس الكذب مرة أخرى في قلب حياتنا نفسه ، واخدع جيروم . . هذا شنيع .

آريان : يا عزيزتى ، لقد وصلت منذ أمد بعيد إلى الاعتقاد بأن الحكمة هى فن استعمال علامات التوكيد .

فيوليت : لا أستطيع قبول ذلك . لسنا نحن الذين نضع علامات التوكيد . لقد كذبت فعلا أكثر من اللازم .

آريان : ألا يمكن أن نضحى بهاجس من هواجس الضمير في سبيل غاية أسمى وأكثر تنزها عن الغرض ؟

فيوليت : مثل هذه التضحيات أشبه بالخيانات .

آريان : لسنا بصدد اتخاذ قرار في الوقت الحاضر ، ولكنى لا

أستطيع أن أراك تقدمين على مخاطرة لم تقدرى عواقبها
دون أن يتتابنى الفزع .

فيوليت : ما أشد وثوقك من ضعفه ، وجبنه ! وما أشد احتقارك
له ! وليس ذلك من حقك : وإذا كان هناك من أفسده ،
ألست أنت هذا الشخص ؟

آريان : كنت مخطئة بالتأكيد حين افصحت أمامك عن قلق
كان ينبغى أن احتفظ به لنفسى وحدها . . . ثم إنه
في الواقع ، كيف نتنبأ ؟ من الممكن أن تقع ظروف
أخرى لا نتخيلها . . إن مجرى الاحداث الحر يحتمل
روافد لا متناهية تقريبا .

فيوليت : بعد أن انتهيت من تعذيبي ، تريدين تنويمى . . . ولكن
مجرد استطاعتك الايحاء بهذا التدبير الشنيع يبرهن على
أن هذا كله محال ، وعلى أن هذا كله ينبغى ألا يكون ،
ولن يكون . وأنت تعرفين ذلك . . . وأتساءل ألم
تحاولى اقناعى بتحايل طويل خادع . . . كم كان من
المستحسن أن تقولى لى في بساطة : أنا لا أريد ، أنا
أرفض . كم كان ذلك أشجع واصدق ! . . . أو لعله
على صواب حقا ؟ أتنتمين فعلا إلى عالم غريب عنا ؟
ألعلك تبصرين بنور يتألق لا نستطيع تمييزه بعــد ؟
قولى : ألك علينا نحن الآخرين ذلك الامتياز غير
المفهوم الذى لم أصل إلى أن أحسده ؟ أنا لا أعتقد ذلك :
ولا أستطيع الاعتقاد فيه ، ألا يوجد في هذا التسليم ،
في هذا الجلال الزائف ، وهذه الرزانة الزائفة خليط
لا أجد له اسماً ، خداع من نوع ما ، دجل لاإرادى ؟

أتعرفينه فحسب ؟ حتى لو استطعنا ارغامك على البوح بأشد أفكارك استسرارا ، أيكون ذلك هو الحقيقة ؟ أمن الممكن أن أعرف الحقيقة أخيرا ؟ (صمت طويل)

آريان : نحن نجهل كل شيء عن المستقبل . وانى لأتمنى من أعمق أعماق قلبي ألا تندمى على الكلمات التى تفوهت بها لتوك ، ومهما حدث ، فيجب أن أذكرك بأنى اغتفرتها .

فيوليت : مهما حدث ؟

آريان : حتى حين لا أكون هنا لكى . . .

فيوليت : ما الذى يثبت لك أننى سأعانى من ضروب الندم .

آريان : أنا واثقة من ذلك ، وستعلمينه أيضا .

فيوليت : لو كان ذلك حقا ، لوجدت الوسيلة لجعلها غير محتملة .

آريان : ماذا تعنين ؟

فيوليت : لا شيء . إنها بالضبط تلك الأقوال جميعا التى لم أعد أستطيع سماعها .

آريان : (في عذوبة) أجل . . عزاؤك أنها الأخيرة ، سأرحل بعد غد .

فيوليت : (بصوت هامس) ترى هل سأتمكن من الاستغناء عنك ؟

آريان : (وكأنها لم تسمع) كنت أود أن أقبل مونيك قبل الرحيل ، وبخاصة أن اعطيها هذا الذى أحضرته لها . . . ولكن الوقت متأخر جدا . . . وعليك أنت أن تعطيها هديتى .

فيوليت : أنت طيبـــة . . .

آريان : كلا ، إنى مخادعة وقاســـية .

فيوليت : (بصوت خفيض) ياليتنى مت . . !

آريان : تعمقى نفسك خيرا من ذلك ياعزيزتى . أنا أعتقد أنك تحبين الحياة بلهفة ، وهذه الفكرة تريحنى . وعندما أتلقى خطاب جيروم . . .

فيوليت : لن يكتبه .

المنظر العاشر

(نفس الأشخاص — فرناند)

فرناند : لم أكن أعرف أنك هنا ، لماذا لم تخطرينى ؟

آريان : جئت لتوديعكما أنتما الاثنتين . (إلى فرناند) لم أرك إلا قليلا خلال هذه الأسابيع الستة .

فرناند : شغلتك أختى كثيرا ، ثم اننى لم أعد مسلية .

آريان : لا تقولى مثل هذه الفظاعات . ولكننى قلّما رأيت شفاء أكمل من شفائك والدكتور دروز كثيرا ما يحدثنى عنك في زهو .

فرناند : أجل ، أجل ، أنا حالة بديعة . (إلى فيوليت) عَهِدَ إلىّ سرج فرنشار بكلمة عن موضوع المصحة الوقائية التى تحدث عنها هذا العصر . إنها تدعى « جرانسى » ، وهى على مقربة من جرينوبل ، وقال إنه واثق من قبولهم لمونيك بسعر زهيد . بوساطة صديق لزوجته . لا مفر من الاعتقاد بأن ذلك المتأنق على علاقات طيبة .

آريان : هذا بديع ! فأنت تعلمين أنني أعرف جرانسى جيدا . بل إنني واحدة من مؤسساتها . . .

فرناند : يالها من مصادفة !

آريان : ومن اليسير علي أن أقول كلمة إذا دعت الحاجة . . .

فيوليت : شكرا جزيلا ، ولكن لن يكون ذلك ضروريا .

آريان : بالتأكيد . مادامت السيدة فرنشار . . .

فرناند : ومع ذلك ، لو تجملت علينا . . لكان لنا في ذلك فريد من الفرص .

فيوليت : كلا ، كلا ، يافرناند ، لا أريد اساءة استغلال عطف السيدة ليبريير .

آريان : لا علاقة لهذا بسوء الاستغلال . ولكني أظن أن آل فرنشار سيسعدهم إسداء هذه الخدمة الصغيرة إليك . . أرجو أن تجعليني على اتصال ، أليس كذلك ؟ هذا وعد ؟

(تخرج تصحبها فرناند وفيوليت اللتان تعودان بعد لحظة .)

فرناند : أنتن أفضل صديقتين في العالم . هذا رائع . . .

فيوليت : (بعد فترة صمت) رائع . . . لماذا ابتسمت حين تحدثت عن المصادفة ؟

الفصل الرابع

بعد مرور شهرين . في لوبني . في منزل آريان . حجرة فسيحة مضيئة تنفتح على الأفق الرحب بكوتين زجاجيتين واسعتين . على اليمين . بيانو كبير (بذيل)

المنظر الأول

كلاريس . شاربونو

كلاريس : خرجت صديقتي . يا سيدى . ولا أستطيع أن أقول لك بالضبط متى ستعود . ألا أستطيع أن أنقل إليها الرسالة؟

شاربونو : الأمر يتعلق بمسألة شخصية بحتة . ولسوء الحظ ، سأستقل القطار في هذه الليلة . ولكن ، هل شاءت المصادفة أن أتشرف بالحديث إلى السيدة كلاريس بوليو ؟

كلاريس : الواقع . ياسيدى . . .

شاربونو : من اليسير على إذن يا سيدتى ، أن أشرح لك الغرض من زيارتى . أنا على صلة وثيقة بالسيد « جيلبير دوبلين » الذى تعرفينه — على ما أعتقد — وهو الذى عهد إلى بكتاب للسيدة ليبريير كنت قد ائتمنته عليه ، ان لم أكن مخطئا .

كلاريس : ولكنى مندهشة — يا سيدى — أن يعتقد السيد دوبلين أن من حقه إطلاعك على هذه الصفحات . .

شاربونو : إنها لا تتضمن أسرارا شخصية يا سيدتى ، ما دامت صديقتك تعتزم نشر كتابها .

كلاريس : فيما بعد ، فيما بعد بزمن طويل . وهذه اليوميات – تمشيا مع عزم آريان – ينبغى ألا تظهر إلا بعد وفاتها ، وإنى آمل – وهذا صحيح – أن يكون عزمها . . .

شاربونو : ها أنت ترين جيدا .

كلاريس : ولكنى لست متأكدة أننى قد توصلت إلى ذلك .

شاربونو : يتصادف دائما أن أنهى في هذا المكان تحقيقا صحفيا عن عقلية المرضى العظماء ، عن أزماتهم اليومية ، وكذلك عن تسلياتهم ، وأفراحهم ، وعن عناصر العزاء النفسى المتاحة لهم . أجل ، إن المرض – في نظر إحدى مجلاتنا الأسبوعية الواسعة الانتشار – أصبح موضوع الساعة في هذه الأيام الأخيرة ، أعنى المرض الحقيقى الذى يدوم سنوات متعاقبة ، وأنا حريص أشد الحرص على نشر هذه الصفحات الشخصية المفعمة بالحياة التى تستحق – وأنا أقولها – أن تقارن بيوميات كاترين منسفيلد . ولاحظى أننى كنت أستطيع أن أضمنها في تحقيق دون أن أطلب أى تصريح . . .

كلاريس : ومع ذلك يبدو لى . . .

شاربونو : ولكن ، هذه الأجراءات المألوفة لدى الغالبية العظمى من زملائى لا تتفق مع الفكرة التى كونتها لنفسى عن مهنتى . الأمر على هذا النحو . أرجوك يا سيدتى تكونى المعبّرة عن رأيى عند السيدة ليبريير . سأكون شاكرا فضلها لو أبْرَقَتْ إلىّ بردها ، إذ ينبغى علىّ أن أعطى النص للمطبعة بمجرد وصولى إلى باريس .

كلاريس : لا أستطيع أن أقول شيئا . ولكنى متأكدة تقريبا من أن صديقتى سترفض .

شاربونو : لا أكاد أعتقد أنها تتخذ مثل هذا الموقف المخالف للعقل.

كلاريس : ولكنى أقولها مرة أخرى يا سيدى ، إن الأمر يتعلـق بكتاب ينشر بعد الوفاة .

شاربونو : ليست هذه هى المرة الأولى التى يُنَشّر فيها كتاب من المقرر أن يظهر بعد الوفاة قبل حدوث الوفاة فعـلا . سيدتى ، أتشرف بتحيتك .

كلاريس : (إلى الخادم الذى يظهر فورا بعد أن دقت الجـرس) أرجو أن تصحب السيد إلى الخارج . (يخرج شاربونو يتقدمه الخادم .)

المنظر الثانى

كلاريس ، ثم جيروم

كلاريس : (بلهجة يشوبها القلق) هذا أقوى من . . .

جيروم : من الذى كان معك الآن ؟ سمعت اسما لا أعرفه . . .

كلاريس : (تشير إلى بطاقة زيارة على المائدة) تستطيع أن ترى. . .

جيروم : (بعد ان تناول البطاقة) ماذا جاء يصنـع هذا الشخص هنـا ؟

كلاريس : لابد أن يدس الصحفيون أنوفهم دائما في كل مكان .

جيروم : ولكن ، لابد من ذريعة . (صمت . يبدو الارتباك على كلاريس)

كلاريس : أنت تعلم جيداً أن آريان تكتب . . .

جيروم : لا أعلم شيئا على الأطلاق . لم تفض الىّ بكلمة قط عن جولاتها الأدبيـــة .

كلاريس : سيكون كتاباً لا يوجد منه إلا القليـــل . . .

جيروم : أحسن .

كلاريس : لو طلبت منها أن تطلعك على بضع صفحات . . . فأنا واثقـــة . . .

جيروم : من أنها ستوافق ؟ شـــكرا .

كلاريس : من أنها ستسر لطلبك .

جيروم : وكيف علم هذا الأحمق ؟ . . .

كلاريس : أهو أحمـــق ؟

جيروم : انه ثرثار ، وطائش ومغرور كتسعة أعشار أعضـــاء مهنته . . . لم تفسرى بعد سبب مجيئه ؟

كلاريس : أنـــا . . .

جيروم : لن أجد أى عناء إذا فكرت في أنك تؤيدين آريان من حيث انها متصوفة ، وكاهنة من كاهنات الروح ومالا أدرى ؟ وفي هذا الزمن الذى نعيش فيه ، يؤدى كل هذا إلى الصحافة التى ليست سوى البالوعة الكبرى الجامعة لحماقة البشر وغرورهم . . .

المنظر الثالث

نفس الأشخاص ، آريان

كلاريس : (في رعاية منفعلة) ما أشد تأخرك في العودة ياعزيزتى ! ألم ترهقـــك هذه النزهـــة الطويلة اكثر من الـــلازم؟

ألا تشعرين بالبرد ؟ لقد غربت الشمس منذ نصف ساعة على أقل تقدير .

آريان : (متضايقة) شكرا . أنا في أحسن حال . شكراً . يا كلاريس .

جيروم : (مناولا إياها بطاقة شاربونو) أتعرفين هذا السيد ؟

آريان : إطلاقا . . . انتظر على كل حال . يبدو لى أنهم أبلغونى في « أورور » أو في « بوسيت » لا أتذكر . أنه سيجرى تحقيقا صحفيا عن المصحات لحساب صحيفة باريسية .

كلاريس : هو هـذا .

جيروم : (بلهجة ساخرة) أمن المفروض أنك تملكين أنواراً خاصة عن هذا « العالم الصغير » ؟

آريان : لا أفهم . . .

كلاريس : (بصوت خافت) سأشرح لك كل شيء حالا . . .

جيروم : يتضح لعينى أكثر فأكثر أنك تمارسين هنا نوعا من السيادة الأخلاقية التى تستوجب لك بالطبع ألوانا من التكريم لا تخلو من تملق كهذه الزيارة .

آريان : هذا مضحك .

جيروم : ألم تنجحى في أن يتعاقد ذلك « الفرنشار » مع البوسولى Beausoleil في اللحظة التى تم فيها تصفية الموسيقيين جميعا؟

آريان : وما العلاقة ؟ . . .

جيروم : لا علاقة هناك : انى أتعجب من رؤية هذه المكانة التى تتمتعين بها في تلك المحطة الساحرة الوسيطة .

آريان : ولماذا الوسيطة ؟ « لوني » تقع على مسافة ألف وثمانمائة متر ...

جيروم : لم يكن تلميحى منصبا على الأرتفاع .

آريان : كان سرج فرنشار يتضور جوعا في باريس .

جيروم : لا داعى للمبالغة ، فقد بدا لى ممتلئا ...

آريان : كنت سعيدة كل السعادة بأن أحصل له على هذه الوظيفة المؤقتة التى تكاد ألا تكون مجزية ، ولكنه على الأقل قد وجد سكناً وغذاء مناسبا ، واستطاعت زوجته أن تجد لها عملا في روضة من رياض الأطفال ، وإن كانت المسكينة تكاد لا تنتظر شيئا ذا بال ...

جيروم : هذا كله مُرْسَلٌ من العناية الإلهية .

كلاريس : انى أتساءل لماذا تتخذ هذه اللهجة المستهزئة ...

آريان : لا أهمية لذلك على الأطلاق : جيروم لم ينم جيدا . أنت في هذه المرة قد عانيت في التأقلم مشقة أكبر من المعتاد ياعزيزى .

جيروم : لم ألق هنا دائما إلا نوما بغيضا .

آريان : ينبغى عليك أن تمارس مزيدا من الرياضة . لم تخرج أمس للذهاب إلى مكتب البريد .

جيروم : (ساحبا ساعته) لابد أن الصحف قد وصلت . (يهم بالخروج . إلى آريان) أرجو أن تستوضحى مع صديقتك مسألة الصحفى هذه .

كلاريس : ولكن ، مادام الأمر يتعلق بتحقيق صحفى ... (يكون جيروم قد خرج .)

المنظر الرابع

آريـــان ، كلاريـــس

آريان : ماذا جرى ؟ أنت شاحبة شحوباً شديداً .

كلاريس : أولا ، أرى جيداً أن زوجك لا يطيقنى . . .

آريان : جيروم عصبى جداً ، والناس جميعا يحتملون تقلبات مزاجه ، هذا شيء عابر .

كلاريس : أما فيما يتعلق بهذا الـ « شاربونو » ، فإليك ما حدث . . من الواضح أننى كنت متهورة ، ولكن لا ينبغى الحقد علىّ . . . تلك الفقرة من يومياتك التى استأذنتك في نسخها ذلك اليوم . . .

آريان : أية فقرة ؟

كلاريس : عن الألم الذى يُنَقّى الروح من الشوائب . . كانت رائعة الجمال . . . فلم أتمالك نفسى من إرسالها إلى جيلبير . . . هذا كل ما أستطيع أن أفعله من أجله الآن : أن أشير عليه بقراءة بعض الكتب ، أن أنسخ له بعض الفقرات . . . وهو معترف بفضلى ، أتعلمين ! لا ينبغى الاعتقاد بأنه يخلو من الاحساس ، وتطلعاته هائلة ! كل ما في الأمر أنه محوط بوسط سيّىء ، بالاضافة إلى أنه شديد التأثر . . .

آريان : أعرف ذلك ياعزيزتى ! قُلْتِه لى مرارا وتكرارا .

كلاريس : انه يعلم مقدارك عندى ــ الاعجاب بلا حدود الذى توحين به إلىّ ، بل أستطيع أن أقول ــ العبادة .

آريان : ولكن . حسبك . ياكلاريس . . .

كلاريس : وقلت له ما سيكون عليه كتابك – وأن « يوميات » تلك الانجليزية ، كاترين . . كاترين . . . « ورسائلها » ليست شيئا إلى جانبه . وهو يقدر حكمي تقديرا عظيما ، لأنه يعلم أنني مخلصة دائما . هذا حق ، فأنا لا أستطيع أن أفهم النفاجة . ومن ثم . فقد أثرتُ عليه تلك الصفحات . وكان معذبا إلى حد ما في هذه الأيام الأخيرة . وفي مثل تلك الحالات يتأثر على الفور . . . كوالده الذى مات بقرحة في المعدة . . .فما أن تماثل للشفاء حتى أطلع شاربونو على تلك الفقرة . . ويجب الاعتقاد بأنه واحد من أصدقائه . . . ولجيلبير أصدقاء كثيرون . . . ومن الحق ، أنني ضائعة بينهم . . وهذا السيد جاء ليستأذنك في أن ينشر في صحيفته . . .

آريان : لن آذن له مطلقا .

كلاريس : حذرتُه من أنك على الأرجح لا تريدين ذلك . ولكن بعد أن أمعنتُ الفكر في هذه المسألة ، يبدو لى ياعزيزتى أنك مخطئة في الرفض .

آريان : تعرفين جيدا أن هذا الكتاب لن يظهر إلا بعد وفاتى .

كلاريس : قلت له ان هذه كانت نيتك . . . ولكنه أجابنى : ليست هذه هى المرة الأولى التى يُنْشر فيها كتاب من المقرر أن يظهر بعد الوفاة قبل حدوثها فعلاً .

(تضحك آريان في مرارة .) لماذا تضحكين ؟

آريان : لســت أدرى .

كلاريس : أتسمحين لى بأن أكون مخلصة معك إلى أقصى حد ؟

آريان : طبعا .

كلاريس : لا أرى أن النشر بعد الوفاة — من الشجاعة في شيء . إنه أشبه باخفاء الرأس تحت الأغطية . . .

آريان : ما أغربك ، يا كلاريس !

كلاريس : وإذا كان الكتاب ينطوى على شيء من الخير ، فلم الانتظار ؟ أذلك عن خوف — ولكن ممن ؟ أم عن تواضع ؟ يعرف كثير من الأشخاص هنا أنك تكتبيين كتابا . . .

آريان : أنت التى قلت لهم ذلك ؟

كلاريس : وهم يسألوننى : أتعرفين متى يظهر كتاب السيدة ليبريير ؟ ؟ وإليك ما قالته لى بائعة الكتب الصغيرة في شاليه فلورا أمس : يبدو أن لنا نحن أيضا كاترينا *

آريان : منسفيـــلد .

كلاريس : بم كنت تريدين أن أجيبها ؟

آريان : ما عليك إلا أن تهزى كتفيك . . .

كلاريس : وقالت إن هذا يفيد المركز كثيرا لو كانوا يعلمون ، ثمة أشخاص يأتون خصيصا .

آريان : أرجوك يا كلاريس ، هذه مغالاة . . . إنك تغريننى بتمزيق المخطوط .

كلاريس : هذا نقص في البساطة . إن ما قاله زوجك عن الصحافة

---

* الاشارة الى كاترين منسفيلد التى سبق ذكرها .

يخلو ببشاعة — من كل انصاف . . . هذه كلمة رجل ارستقراطى . فلو استطعنا أن نقدم للناس غذاء لأرواحهم . . . إنى أعبر عن نفسى أرد أ تعبير . . . في عصر مادى كعصرنا . . . ولكنه يريد أن يكون كل شيء مقصورا على صفوة ضئيلة يقرأون الطبقات الفاخرة ، أما أنا فأعتقد أن المستقبل للشيوعية وجيلبير يشعر بنفس شعورى . وهذا غريب بالنسبة لأنه كان أميل إلى اليمين . . .

آريان : أخشى أنك تتوهمين أوهاما كثيرة عن الأهمية التى يمكن أن يعلقها المرء على آراء جليبير . . .

كلاريس : إنه فتى ذكى ، يا آريان . . .

آريان : أعرف . . . .

كلاريس : ولو كان أحسن توجيهه . . . إن أبويه مسئولان مسئولية هائلة .

آريان : أتمنى من ناحيتى أن يكون تراسلك معه على فترات متباعدة .

كلاريس : وما وجه الضرر في أن اكتب اليه : إنى أحاول أن أنقل اليه قليلا مما تعطينى . . . أفي هذا ضرر ؟

آريان : كلا ، ولكن ربما كان فيه شيء من التهور . . .

كلاريس : لست أفهم . . . أنت لاتتحدثين مثلما كنت تتحدثين من قبل . ألعله فيليب الذى أوغر صدرك علىّ ؟

آريان : أنت حمقاء . تعلمين جيدا أن فيليب وأنا . . .

كلاريس : إذن ، فأنت لاتغتفرين لى أننى أفسدت علاقتك بأخيك؟

آريان : لم تفسد علاقتنا ، يا كلاريس .

كلاريس : أنا ، ماذا تريدين ، إني أقول الأشياء في بساطة ، ولا أعرف التوفيق في استخدام الألفاظ مثلكم ، يا إلهي هذا مرعب ، سأرحل من صباح غد .

آريان : كلا ياكلاريس ، كلا ، لاتكوني طفلة .

كلاريس : لديك شيء ما يثير همك ، ولاتريدين أن تصارحيني به أهذا لطيف منك ؟ كأن أجمل مافي الصداقة ليس هو المشاطرة في . . . كتبت عن هذا الموضوع شيئا رائعا .

آريان : أتوسل اليك ياكلاريس — مرة واحدة وإلى الأبد ألا تتحدثي عن تلك الخزعبلات .

كلاريس : طلبوا أن تبرقي إليهم بردك .

آريان : لن ابرق لهم بشيء عـلى الإطلاق . هـذه صفاقة . . . (دقات على الباب .) ادخل . من هناك ؟

الخادم : انه السيد فرنشار يطلب التحدث إلى سيدتي .

كلاريس : سأتركك يا آريان ، ولكن لا أستطيع أن أكتمك أنك قد آلمتني ، وأنني لا أستطيع أن أفهمك اليوم جيدا .

آريان : آسفة ، يا كلاريس . . . ينبغي ألا تحقدي عليّ . . . أنا . . . (إلى الخادم) أرجو أن تبلغ هذا السيد أنني سأكون على أستعداد لمقابلته بعد لحظة .

الخادم : سمعا وطاعة ياسيدتي . (يخرج)

آريان : تسألينني إن كان لديّ همٌ ، يشغلني . . أجل ، بل أكثر من ذلك ، قلق خطير . . . وإغذريني إن لم أستطع أن أصارحك بأكثر من ذلك في هذه اللحظة .

كلاريس : أنا لم أُخفِ عنك — يا آريان — شيئا من أحزاني ،

آريان : أنا أعرف يا كلاريس . . ولكنى لا أستطيع ، انـه موضوع يتعذر عليّ الحديث عنه . ربما ، فيما بعد . .

كلاريس : إلى اللقاء ، يا آريان . (تخرج)

آريان : (تفتح الباب القائم جهـة اليمين) تفضل بالدخول . يا سيد . . .

المنظر الخامس

آريان ، سرج (يعلوه شحوب شديد)

آريان : ماذا حدث ؟ يبدو عليك الاضطراب .

سرج : هـذا أقل ما ينبغى أن يكون . . . فيوليت هنا مـع الصغيرة . . .

آريان : هنا ؟

سرج : في لوني . وصلت هنا مساء أمس . ومونيك ليست على ما يرام ، إنها تسعل .

آريان : لا أفهم .

سرج : تعرفين أن أخبارهما انقطعت عنى منذ مدة . . وأنت نفسك قلت لى إنها لم تكتب إليك .

آريان : كلا ، ولا سطر .

سرج : إنها وصلت فجأة ، التقيت بها هذا الصباح في بوسولى .

آريان : أهما في بوسولى ؟

سرج : أجل ، وهذا أيضا شيء لا أستطيع أن أفهمه . . .فيوليت في صحة سيئة للغاية ، ولم أر الصغيرة بعد. لم تقل لى سوى

بضع كلمات يجب أن افسر لك . . لم تكن لدى الشجاعة لأن أقص عليك . . . أتذكرين ما اتفقنا عليه فيما يتعلق بموضوع المصحة الوقائية القريبة من جرينول . قلتُ لها إن زوجتى تعرف عضواً في مجلس الادارة . .

آريان : أجل . وبعد ؟

سرج : لست أدرى كيف علمت بذلك . أعتقد أن سوزان كانت سيئة التصرف إلى أبعد حد . فاكتشفت فيوليت أن المسألة اختلاق . وأنك أنت التى . . . وقد حقدت علىّ كثيرا . لست أدرى لماذا ! بل عنفتنى تعنيفا رهيبا . . . وبالطبع . لم يعد ثمة ما يدعو إلى إرسال مونيك إلى هناك . وحسب مافهمته لتوى . أنهمـــا كانا في بنسيون صغير في ضواحى باريس . ولقد تدهورت صحة الطفلة . وانتهى الأمر بفيوليت إلى استشارة طبيب يدعى باولوس . قال إنه لابد من ذهابها الى مصحة .

آريان : أكَشَفَتْ الأشعة عن . . . ؟

سرج : لست أدرى . . . أعتقد أن . . . نعم .

آريان : هذا فظيـــع . . .

سرج : ثم هناك — كما ترين — شيء يدفعنى إلى الجنون . فيوليت شديدة الاملاق . فلماذا تنزل في أغلى مصحة في لونيي؟ كيف تدبر أمرها ؛ هذا الشخص الذى حدثتك عنه ، أتذكرين ، متعهد الحفلات . . . أخشى أن يكون قد اقتحم حياتها . أجل ، فهو الذى يملك من المال ما يمكنه من دفع تكاليف إقامتها في « بوسولى » .

آريان : ليس من حقك أن تفترض مثل هذا الافتراض .الحقيقة أنها تملك في الوقت الحالى مبلغا صغيرا من المال . وما سأقوله لك أرجو أن يبقى في طيّ الكتمان . اشتريت معزفها ، ولكنها لاتعلم أنني أنا التى ابتعته منها .

سرج : (محدقا في البيانو الكبير .) صحيح، ان هذا هومعزفها .

آريان : ولكنها تعتقد أن المشترية صديقة لى أعطيت لها اسمها ، وهى شديدة التشكك ؛ ولابد من مراعاة حساسيتها .

سرج : لا أفهم أن يصنع المرء كل هذه الارتباكات حين يكون واقعا في ورطة . . . لقد كنت طيبة إلى اقصى حد معها ومعي . . وفضلا عن ذلك ، إذا جاءت هنا فستدرك بالتأكيد . . .

آريان : (في ألم) عند الحد الذى وصلنا إليه ؛ لم يعد لهذا كله أهمية عظيمة . . . أقالت لك شيئا عنى ؟

سرج : كــلا .

آريان : إنها . . . لست أفهم لماذا حرصت على أن تصحب البنت الصغيرة إلى لوني بالذات . . ثمة أماكن أخرى كثيرة يعالجون فيها هذا المرض .

سرج : هنا يوجد أشهر الأطباء . . . ثم ، ربما كان هذابسببك.

آريان : ولمــاذا بسببى ؟

سرج : كنتِ طيبة إلى درجة . . .

آريان : لم تكتب إلىّ سطرا واحدا منذ ستة أسابيع ، أعتقد أنها تمقتنى .

سرج : ليس هذا ممكنا . . . فهى لم تصبح مجنونة على حين غرَّة . . أو ربما كان الأمر . . (يتوقف) .

آريان : بوسعك أن تتكلم .

سرج : كـــلا .

آريان : أعرف كيف أتمالك نفسى .

سرج : كيـــف ؟

آريان : منذ وصولى إلى باريس ، كنت أعلم كل شيء . . .

سرج : (متأثرا) هذا شيء خيالى .

آريان : وزوجى أيضا ظل بلا أخبار . . وكان لذلك شديد التعاسة.

سرج : أوه : هو ! .

آريان : لا أعترف لك بأى حق في الحكم عليه . . قل أيضا إنه من جهته يحمل لسلوكك أقسى تقدير ممكن . . كل هذا لاقيمة له .

سرج : (في تواضع) من الجائز أنك على حق . فأنت امرأة سامية . .

آريان : كلا . . لاوجود لنساء ساميات — كما لايوجد رجال متسامون . نحن جميعا ضعفاء . . مشوهون ، أرى زوجى عائدا . من المستحسن ألا تلتقى به .

سرج : أنا لا أخشاه ، كما تعلمين .

آريان : ولكنى أسألك ذلك من أجلى .

سرج : كما تشاءين . . أتسمحين لى يوما ؟ . . عندى أشياء

كثيرة أود أن أفضى بها إليك . . . نصيحة سأطلبها
منك . . زوجتى : لقد رأيتها . . أنا لست سعيدا .

آريان : كلا : كلا . . . لم أعد أريد أن أتلقى أسرارا . .انتهى.
(تسحب سرج صوب الباب الجانبي الذى يؤدى إلى
الحديقـــة .)

المنظر السادس

جيروم : ثم آريـــــان

(يدخل جيروم ممسكا صحيفة بيده : يجلس ويستغرق
في قراءة الصحيفة .)

آريان : هل من جديد ؟

جيروم : النزاع بين ايطاليا والحبشة يتدهور أكثر فاكثر .

آريان : على شرط أن يبقى محليا !

جيروم : هذا قليل الاحتمال .

آريان : كنت أعتقد . . .

جيروم : لا تتكلفى الاهتمام بالسياسة . . واقنعى بتثقيف روحك
الجميلة .

آريان : جـــيروم !

جيروم : بصحبة تلك المُطَلَقة الندّابة . بالمناسبة : هل سيطول
مُقَامها هنا ؟

آريان : لا أظن .

جيروم : تعشيت مع فيليب في الأسبوع الماضى ، إنه حانق عليك ،

لاقتناعه بأنك لم تدعى زوجته إلا كيدا فيه .

آريان : ولكن ، كيف عرف – أولا – أن كلاريس هنا ؟

جيروم : لأننى قلت له هذا بكل بساطة . تعرفين بما فيه الكفاية أننى أبغض كتمان الأسرار .

آريان : أصغ إلىّ يا جيروم ، لماذا لا تعترف بكل بساطة بأنك شقى ؟

جيروم : إنى متضايق ، ثائر ، متقزز . إذا شئت . ولكنى لست شقيا ، مم يكون شقائى ؟

لا ينبغى أن تعتمدى علىّ في ممارسة مواهبك في التعزية .

آريان : ما أخبث هذا الذى تقوله . . . وخلاصة القول ، لماذا أتيت إن لم يكن ذلك لمجرد تجريحى ؟

جيروم : أنت ، إنك معصومة من التجريح . . .

آريان : اتعتقد ذلك ؟

جيروم : إذا كنت قد جئت ، فذلك أولا لأنى أشرفت على الهلاك من قيظ باريس ، وموسم الحفلات الموسيقية انتهى ، والجو هناك غير قابل للتنفس والناس لايتحدثون إلا عن أعمال العنف ، وعن الحرب الأهلية . . .

آريان : تستطيع أن تسافر .

جيروم : أنا على مايرام هنا كأى مكان آخر .

آريان : أو على غير ما يـــرام .

جيروم : لو شئت .

آريان : (بعد فترة صمت) تلقيت أخبارا عن الآنسة مازارج .

جيروم : آه ! . . . وفيم يعنيني هذا ؟

آريان : أنها هنا مع ابنتها الصغيرة التي ليست بخير .

جيروم : أنت التي أتيت بـها ؟

آريان : جيروم ، قلت لك إنني لا أعلم عنها شيئا منذ ستة أسابيـع .

جيروم : هل التقيت بها ؟ هل اتصلت بك تليفونيا ؟

آريان : كلا ، ولم أعلم بوجودها في لوني إلا عن طريق غير مباشر .

جيروم : عن طريق عازف البيانو ، على ما أظن . . . هيه ؟

آريان : لا أهمية لذلك .

جيروم : بديهى . . . وتنوين أن تعزفي معها موسيقى ؟ أتنوين دعوتها إلى تناول الشـاى ؟

آريان : كـلا .

جيروم : لماذا ؟ أتحقدين عليها لأنها لم تُظْهِـر لك ما يكفى من الاعتراف بالجميل ؟

آريان : يا عزيزى ، حان الوقت لانهاء هذه الأحاجى . . . لعلك أدركت . . . أنني لا أجهل ما تعنيه فيوليت مازارج بالنسبة إليك .

جيروم : إنها ليست شيئا بالنسبة لى ، بالضبط .

آريان : (في رزانة عميقة) . . . ما كانت تعنيه ، إذا آثرت ذلك .

جيروم : وبعـــد ؟

آريان : (في رفق) أتعترف بأنها كانت عشيقتك ؟

جيروم : إن كان في هذا ما يسرك .

آريان : جيروم ، كل ما أطلبه هو أن تجيب عليّ بلا أو بنعم .

جيروم : أظن أن لديك ، أو تعتقدين أن لديك أدلـــة . . .

آريان : ليست هذه هي المسألة ، أريد أن أحصل منك فحسب . . . لا أقـــول على اعتراف : بل على إجابة مخلصة ، مباشرة . إذ يخيل إلى أحيانا أنك لست شجاعا كما وددتك أن تكون . . .

جيروم : إذا تصورت أنني أخاف من النتائج أدنى خوف ، فأنت مخطئة .

أجل ، لقد كنت عاشقا لتلك الانسانة ، وأنا أكرر هذا القول أمام من تريدين . وإذا كان الطلاق هو ما تتمنين ، فان هذا يعمل على تبسيط الاجراءات على ما أتصور تبسيطا عظيمـــا .

آريان : لن أفكر شخصيا في الطلاق إلا إذا أردتَه أنت .

جيروم : إطلاقـــا .

آريان : ألم يخطر على بالك قـــط ؟

جيروم : من بين الأفكار التي عبرت برأسي ، قد تكون هذه واحدة منها ، ولكن هذا لا يؤدى إلى أية نتيجة .

آريان : وهـــــي ؟

جيروم : اسأليها . إن كان ذلك يهمك

آريان : ألا ترغب في رؤيتها مرة أخرى ؟

جيروم : مطلقـــــا .

آريان : إذن ، فأنا لست مثلك ، إذ أرى من الضرورى أن نصل نحن الثلاثة إلى تفسير صريح صراحة مطلقـــة .

جيروم : هذا الرأى صادر عن مزاج شخصى !

آريان : في نظرى أنا شيء لاغنى عنه .

جيروم : أشك في أن توافق .

آريان : سأبذل غاية جهدى لاقناعها .

جيروم : هذا بعيد الاحتمال .

آريان : أنت على حق ، فثمة شيء في هذا الموقف . .

جيروم : بل يبدو لى الموقف — على العكس — شديد الابتذال .

آريان : أقل مما تعتقــد .

جيروم : الشيء المؤكد هو أننى لن أحضر . . . هذه المواجهة .

آريان : ستفعل ذلك من أجلى . اعترف بأننى لم أبدُ متشددة حتى الآن .

جيروم : هذا يتوقف على ما نفهمه من كلمة تشدد . . .

آريان : بعد هذه . . . المحادثة ، تستطيع أن تتصرف كيفما يحلو لك ، ستكون حرا حرية تامة . (تذهب إلى التليفون ، وترفع السماعة .) رقم ١٥ من فضلك يا آنسة . أهذه مصحة « بوسولى » ؟ أأستطيع أن أتحدث إلى الآنسة فيوليت مازارج . من فضلك ؟

جيروم : أنت مجنونة ! (تومئ آريان برأسها كأنها تُطَمْئِنُه .)

آريان : آلو ! أهذا أنت يافيوليت ... كلا ، كلا ، لا لا تقطعي المكالمة أرجوك ... علمت بمحض المصادفة بوصولك إلى لوني . كيف الحال ؟ الصغيرة مونيك .. الأشعة لم تكن جيدة ؟ يافيوليت المسكينة ! في هذه السن ، أتعلمين ، تندمل تلك الجروح الصغيرة جيدا وبسرعة لا تنزعجي .... حرارتها مرتفعة ؟ .... نعم هذا شيء تافه .ستعالج علاجا رائعا .... الدكتور شيمت إنسان من الطراز الأول ، إنه عالم كبير وطيب جدا ...

جيروم : (بصوت خافت) وبارع في المعاملات المالية .

آريان : وسترين ، إن ما أحبه فيه هو أنه مُشَجع إلى أقصى حد إنه التفاؤل بعينه ... أحرص على رؤيتك في أسرع وقت ممكن . يا فيوليت .

تعالىْ إلى هنا هذا المساء بعد العشاء ، حوالى الساعة الثامنة والنصف سيدلك الناس جميعا على « الجنتيان » إنه على بعد خمس دقائق من « بوسولى » .. تعلمين أن صمتك قد آلمنى كثيرا . كنت إليك خمس مرات أوست ، وأرسلت ثلاث برقيات مدفوعة الرد ... ولا شيء ...

لم يخطر على بالى إلا ... انتهى بى الأمر إلى اقناع نفسى بأنك تحقدين علىّ حقدا رهيبا (يتغير صوتها .) وحاولتُ أن أفسر لنفسى ... وعذبتُ نفسى ..

لا أطلب إلا الفهم ، يافيوليت ، أؤكد لك أنني لست ما تعتقدين ، لقد تألمت كثيرا . . تعالى يا صغيرتى ، سنوضح كل هذا . إلى الملتقى ، هذا المساء . (تستدير.) أما زلت هنا ؟

جيروم : أجـــــل .

آريان : فيم تفكـــر ؟

جيروم : أنا مندهش قليلا ، هذا كل ما في الأمر .

(تنسدل الستار ، ثم ترتفع على الفور عن نفس الديكور الحجرة تكاد تكون مظلمة كلها تقريبا ، مصباح في ركن هو وحده المضيء ، يجلس جيروم مُسْلِماً رأسه إلى راحتيه ، دقات على الباب ، يقول جيروم : ادخل ! بصوت كئيب ! لا يتفتح الباب ، فيردد ادخل! بصوت أقوى .)

المنظر السابع

جيروم ، فيوليت

فيوليت : جيروم ! . . . لم تقل لى إنك هنا .

جيروم : لم يكن لها أن تخطر ك على ما يبدو لى . . . أتعلـــم أنك هنا . ؟

فيوليت : لابد أن الخادم الذى فتح لى،أعلن حضورى. (صمت)

جيروم : أتدركين الاساءة التى ألحقتِها بى ؟

فيوليت : لا أستطيع التصرف على نحو آخـــر . . . وكان ذلك مستحيلا ، بعدما حدث .

جيروم : أحب أن أفهم إلام تلمحين ؟

فيوليت : ينبغى أن تعترف – على كل حال – بأن كل شىء أفضل على هذا النحو . . . (تشير إلى الحجرة .) فكر قليلا فيما كان لا بد أن تهجره لو أننى أخذتك بكلمتك . لقد أسديتُ إليك خدمةً هائلة .

جيروم : اتعتقدين بذلك ؟

فيوليت : وفضلا عن ذلك ، تركت لك الدور الجميل . تقدّمتَ إلى بأكرم اقتراح ، ولكنى أنا التى رفضته ! وهكذا تصالحتَ مع ضميرك ، ولم يتغير شىءٌ فى حياتك المادية ، ماذا يمكن أن تتمنى أكثر من ذلك ؟

جيروم : وحبنا ، يا فيوليت ؟

فيوليت : لم يكن يستطيع أن يعيش بلا شك – بعد كل هذا الاضطراب ، ومن المستحسن ألا نفكر على أى نحو كان احتضاره .

جيروم : والآن ؟ ما مصيره ؟

فيوليت : على كل منا أن يجيب ، فى قرارة قلبه .

جيروم : ماذا تسمعين حين تسألين نفسك ؟

فيوليت : لا أفهم لماذا لا تنزل آريان .

جيروم : إنها فى غرفتها .

فيوليت : كل الحجرات تبدو مظلمة إلا هذه .

جيروم : يحدث لها أحيانا أن تبقى هكذا دون أن تضىء النور . . .

فيوليت : أهى تصلى ؟

جيروم : أعتقد أنها فى خلوة مع نفسها .

فيوليت : يا إلهى ! سيبدأ كل شيء من جديد . . .

جيروم : أحذرك بأنها على علم بعلاقتنا .

فيوليت : أقالت لك ذلك ؟

جيروم : أجل . . . لا يبدو أن هذا كان مفاجأة لك .

فيوليت : كلا . . . وكان ينبغى . أن تكون عمياء حتى لاتشك في شيء .

جيروم : يا لها من لهجة مصطنعة تلك التى تتحدثين بها على حين فجأة . . . ما لا أستطيع غفرانه لك ، هو أنك لم تردى على رسائلى ، ومنعك للبوابة من إعطائى عنوانك . . .

فيوليت : إنى لا أثق في نفسى . . . ولم تكن لدىّ وسيلة أخــرى للدفاع عنها .

جيروم : لم تجيبي علىّ حتى الآن . أمازلت تحبيننى يا فوليت ؟

فيوليت : لست أدرى .

جيروم : كيف لا تدرين ؟ . . . ألم تتعذبى خلال هذه الأسابيع الســتة ؟

فيوليت : بقســوة .

جيروم : بســبى ؟

فيوليت : بسببك أولا ، ثم كانت هناك صحة مونيك . . . إنك حتى لم تسألنى عن أخبارها .

جيروم : ولكنى أعرف ، أنا أتتبع أخبارها . . . وأنا آسف من أجلك . .

فيوليت : أنت آسف . . . لو كنت تحبنى حقا ، يا جيروم ، أما

كنت تجد شيئا آخر تقوله لى ؟

جيروم : هذه الصغيرة ابنة رجل أمقته ، وهى تشبهه ، فاذا كنت أكـ . . . ليست هذه غلطتى يا فيوليت ! مرجع ذلك بالضبط هو أننى أحبك ، افهمى إذن . الحب ليس عاطفة تجلب الراحة ، وتجر معها ذيولا مريحة .

فيوليت : إنى أتساءل عما إذا لم تكن مرضا .

جيروم : يخيل إلى أنك برئت منه نهائيا ! تهانئى . . .

فيوليت : لم أبرأ من شىء .

جيروم : يا لها من فكرة أيضا مجيئك إلى لونبي ! وكأننا لا يمكن أن نعالج في مكان آخر ! لم يكن ذلك لكى تكونى على مقربة منى : فما كنت تعلمين أننى هنا . هذا شىء لا يمكن تصوره . . . تتصرفين كانسانة غير متزنة لا تطيع إلا دوافعها المتضاربة . . .

فيوليت : أتلومنى على أننى استعدت صحتى . . . وازن اتهاماتك قليلا يا جيروم .

المنظر الثامن

نفس الأشخاص ، آريان

آريان : أشكرك على مجيئك ، يا فيوليت . . . أظن أن هذا قد كلفك مجهودا عظيما .

جيروم : كأنها لم تختر لونبي لتكون على مقربة منك !

آريان : اعطنا قليلا من النور ، يا عزيزى ، أرجوك ، أضئ المصباح ، هناك . على يمينك . (يدير جيروم مفتاح

النور ، يظهر البيانو الذى كان في الظلام – في وضوح تام .)

فيوليت : ولكن ، آريان . . . هذا المعزف . . إنه معزفي . . . ألم تكن السيدة ديلاند التى كتبت إلى سوى اسم مستعار ؟

آريان : لا تحقدى علىّ . اعتقدت أننى أصلح الأمور . . وكنت مخطئة بلاشك خطأً فادحا في هذه النقطة ، كما كنت في غيرها جميعا .

جيروم : ما معنى هذا الاعتراف بالذنب ؟

آريان : اصغ إلى يا جيروم ، ان ما سأخبرك به أمام فيوليت. . . أجل من المستحسن أن يكون ذلك أمامها . . . سيسبب لك – بلا شك – دهشة معينة . وربما كانت مؤلمة ، لست أدرى . فليكن . إن أحدا منا لا يستطيع أن يحيا بعدُ في هذا الجو . ظننت أن هناك أكاذيب بيضاء – أو حتى خَيِّرة . . ولم أعد الآن واثقة من أن هذا حق، أو على أى حال ، لم أعد أستطيع . . . عندما كنتما منفردين ، تضرعت إلى . . لا أعرف كيف أدعوها – إلى القوى الخفية لتمنحنى ما أنا في حاجة إليه من قوة. . وإنى لفى حاجة إلى نصيب كبير منها . ذلك أننا في
إلى القوى الخفية لتمنحنى ما أنا في حاجة إليه من قوة. . وإنى لفى حاجة إلى نصيب كبير منها . ذلك أننا في
اللحظة الحاسمة من وجودنا نحن الثلاثة ، إنى على يقين من ذلك . ولا أدرى إن كان طلبي هذا قد أجيب. أشعر بأنى ضعيفة ضعفا فظيعا . . عزلاء تماما ، ولا أرى أىّ شفقة في نظراتكما .

جيروم : ولكن هذا شئ لم يُسْمعَ به من قبـل . وأنت تتحدثين كأنك مذنبة .

آريان : ربما كنت مذنبة . بل أكاد أكون مذنبة بالتأكيـد . عندما وصلت إلى باريس في أبريل . كنت أعلم أنكما عاشق وعاشقة . وتلقيتُ في تلك الفترة رسالة غفلا من التوقيع لم تترك عندى أى شك وفضلا عن ذلك، كان اقتناعى قد تمّ فعلا

فيوليت : لم تكن تلك الرسالة من اختى ، لقد افترينا عليها

آريان : لم أحقد عليك أو عليها قط ، وعندما التقيت بفيوليت أحسست نحوها على الفور بتعاطف خاص . بل كنـت أحبها فعلا قبل تعارفي عليها ، وقبل أن أعلم أى مكان تحتله في حياتك . أحسست على الفور أنها تتألم ألما عميقا مما تعتقد أنه خيانة لى . ولم أستطع أن أمنع نفسى عـن بث الطمأنينة في نفسها . . . ولا أظن أننى أسـاءت التصرف في تلك اللحظة .

جيروم : وهكذا كانت علاقتكما الحميمـة . . .

آريان : ربما كنت مخطئة هنا ، عندما حسبت من واجبى أن أطلب من فيوليت ألا تصارحك بما دار بينها وبينى . . . أنت تفهم ، تخيلت — عن حسن نية أنه منذ اللحظة الّتى تعرف فيها أننى على علم بعلاقتك ، سيصبح الموقـف غير محتمل ، وأنك ستقطع صلتك بها ، وربما بى بعـد ذلك — مدفوعا بالكبرياء ، أكنت مخطئة ؟

جيروم : (بصوت مكتوم) لا أدرى .

آريان : ربما كان من واجبى — مع ذلك — أن أقوم بهذهالمجازفة

وحسبت نفسي كريمة ، ولاشك أنني كنت أفتقر
ـ ببساطة ـ إلى الشجاعة ، وإلى الايمان . . .

فيوليت : (في فظاظة) أعتقد ـ على الأخص ـ أنك مازلت تموهين حتى الآن ـ عن دوافعك الحقيقية التي تفسر موقفك . وما تفسرينه على أنه فعل من أفعال نكران الذات أو على الأقل من الكرم المطلق ، أعتقد أنه كان اقتحاما لمجال ، لا شيء يمنحك الحق في الدخول إليه .

جيروم : فيوليت !

فيوليت : حق الادانة ، والتحريم ، والابعاد ، هذا الحق تملكينه ، ولكن ، ما لم يكن مسموحا لك به هو الوصول ـ عن طريق الغش ، وعلى حساب الاعجاب الفاتن الذى عرفت كيف توحين به إلى ، إلى قلب حبنا نفسه ـ وكأنك أردت . . . لست أدرى . . أن تتذوقي بنظرك ثمرة لم يكن من حقك تذوقها .

جيروم : هذا شنيع !

ريان : (في حزم) لقد اجتمعنا لنكتشف الحقيقة ـ أيا كانت ـ في نهاية الأمر ، وعلى فيوليت أن تفصح عن مكنون فكرها ، أيا كانت قسوته على حين أستمع إليه .

فيوليت : ربما كنتُ جائرة ، فأسأت فهمك على نحو شنيع ، اعرف ذلك ، وأعترف به ، ولكن لا أستطيع أن أكون على يقين منه . وأنت نفسك ، تسلمين لى . بأنه ليس في وسعك إعطاؤه لى .

آريان : (متألمة) ليس ذلك في وسعى .

فيوليت : لا تستطيعين أن تدركي ما أيقظته في نفسي أول أمسية أتيْتِ فيها . هذا شيء يندُّ عن التعبير . نوع من الحماس . بل يكاد أن يكون عبادة . لقد عبدتك . ولكني اكتشفت شيئا فشيئا أن هذا الشعور . هذا الضرب من العاطفة سيحول بين جيروم وبيني . وفي الوقت نفسه لم أكن أستطيع أن أفسر له شيئا مادمت قد وعدتك باخفاء كل شيء عنه . أما هو فقد أحس أن ثمة شيئا غير مفهوم يجرى في الخفاء . فكان أن حقد عليَّ . . . وحقد عليك أنت أيضا . وأصبح الموقف بيننا لا يطاق . وهنا جاءت الأزمة . تقدم إليَّ بذلك الاقتراح الذى تعرفينه . وأنت . . متظاهرة بقبول كل شيء وتسهيل كل شيء قلت بالضبط الكلمات التي لابد منها لإرغامي على الرفض . ولاظهار هذا المنظور في مَظْهرَ شائن . ومن ثم اعتقدت أن كل شيء كان محسوبا وأنك تخيلت أشدَّ الوسائل وثوقا . الوسيلة الوحيدة الفعالة للتفريق بيني وبين جيروم . مع احتفاظك في نظرى وفي نظر الآخرين — وهذا ما كان جوهريا — بدور البطلة أو القديسة . وهذه الجملة عندما قلت إنه ينبغي تذكيري بأنك صفحت عني . . . ليتك تعلمين إلى أى حد عذبتني ! . . . حلمت أحيانا بوقوع حادثة لك : تعثرت قدمك على طريق الجبل . فانزلقت . . . فكنت أستيقظ مذعورة . وأقول لنفسي : إليك . لا يمكن أن تعرف أبدا إن لم تكن قد انتحرت . وتمثلت لنفسي كل الأوضاع التي يمكن أن تتخذيها بالتفصيل . وفكَّرتْ : سيجدون خطابا مؤرخا بتاريخ سابق . وستتخذ كل

الاحتياطات لكى يعتقد الناس أنها حادثة ، إلا احتياطاً واحداً . . أو قد يراودهم على كل حال شيء من الشك، وكان ذلك الصفح أشبه بخنجر يغوص في صدرى . . . وهكذا استقر عزمي على ألا أراه أبدا .

جيروم : (في حزم) لماذا أتيتِ إلى لوني ؟

آريان : (إلى فيوليت) ولكن ، أتعلمين يا فيوليت أنني عند خروجى من منزلك ذلك المساء ، راودنى مايشبه الاحساس الجسمى بالاساءة التى ألحقتها بك — تلك الجملة التى سامحتك بها — لم استطع أن أغفرها لنفسى. وحاولت أن اتصل بك تليفونيا في نفس ذلك المساء، فلم يرد أحد . فكتبتُ إليك . . .

فيوليت : لم أفض رسائلك ، يا آريان . . .

جيروم : لأنك كنت تخشين الحقيقة .

فيوليت : ماذا تعنى ؟

جيروم : لأنك كنت تريدين أن ترجعى سلوك آريان — بأى ثمن — إلى أحط البواعث ، وأخسها ، وأشدها خزيا ، بحيث تستطيعين أن تكونى لنفسك صورة لا تسيء كثيرا إلى حبك لذاتك . .

فيوليت : جيروم !

جيروم : إذا كان هناك من لعب دورا خليقا بالاحتقار في هذه المسألة ، فهو أنت . أما آريان . . فلا أستطيع الحكم عليها . قلنا ذلك كثيرا . إنها لا تسكن نفس العالم الذى نسكنه . . ولكن ، أنت ، فليس لك أن تستسلمى لمطالبها

لقد خدعتنى خداعا دقيقا . لماذا ؟ . مازلت أسائل نفسى .
بدافع من الضعف — أو بحساب لا أحسن تصوره .

فيوليت : جاحد ! كنت أخشى أن أفقدك ، هذا كل ما في الأمر

جيروم : إذن ، فقد كنت ترين أن الصلة التى تربط بيننا واهية !

آريان : انصت إلىّ ، جيروم ، ليس عليك أن تنحاز إلى جانبى ضد فيوليت ، إذا كان هناك من هو مسئول في هـذه المسألة ، فهو أنا ، وأنا وحدى ، إنى انتمى إلى الأرض مثلكم ، وا أسفاه ! بل ربما أكثر منكم . ولا ينبغى أن ينسى شىء مما حرمت منه ، مما انتزع منى . إن أفظـع ما في الحياة — وقد فكرت فيها مليا طيلة هذه الأيـام الأخيرة — هو أن الخيرات التى حرمنا منها لا تنقصنـا فحسب ، إنها فينا ، ولكن كالظلال المقلوبة . كالقوى الليلية المدمرة . . أنت تعتقد — يا جيروم — في هـذه اللحظة أننى أعلى من البشر — أوه ! أعرف أنك تراني في لحظات أخرى أنانية لا أحتمل — ولكن لا وجود فيّ لشىء أعلى من الإنسان ، وإذا بدا لى فجأة أن الروح قد استجابت لى ، فذلك بأن أطلقنى على ما في شـقائى وقصورى من عمق . أنا واثقة من أننى قد أسـأت التصرف ، وأريد أن أعلن ذلك . . . أتريد دليـلا ؟ لقد أفضيت إلى فيوليت بسر ، هى آخر من ينبغى أن تعرفه صارحتها بأن ميولك قبل زواجنا لم تكن . . . لم يكـن من حقى أن أخبرها ، فلماذا فعلت ذلك ؟ لا أدرى لعلنى كنت أطيع . . .

فيوليت : (بحرارة) ألا تفهمين إذن أن هذا الافضاء لم يكن ذا

خطر طالما كان يجهل أنك فعلته ، وأنه يصبح هداما في هذه اللحظة التي نحن فيها ؟ ألا ترين أنك بتحملك للمسئولية واتهامك لنفسك كما كنت تحاولين منذ لحظة ، لا تهدفين إلا إلى تعظيم نفسك في عينيه ، وجعلي – بطريقة مضادة – أخلق بالاحتقار وأدنأ ، لأنك أنت على كل حال التي توجهين الاتهام ، ليس صوتا من السماء ذلك الذى أصدر هذا القرار بالاتهام ، وإنما أنت التي نَطَقْتِ به .

آريان : إنك تطعنينني في قلبي يا فيوليت ، حتى في هذه اللحظة التي انجرد فيها من كل كبرياء ، ومن كل احترام انساني . والتي أظهر فيها بكل تعاساتي ، وجروحي ، في هذه اللحظة تتهمينني بأنني أذعن لتدبير . . .

فيوليت : أنا لا أدعي أنك غير مخلصة .

آريان : وهذا أيضا . ربما كنت استحقه . وهذه الروح من العنف والجور التي لا تتفق مع طبيعتك يا فيوليت أقل اتفاق – لا شك أنني الملومة إن كانت قد استولت هذه الروح عليك .

فيوليت : أنا واثقة من أنك تتكلمين من أعماق نفسك . ولكن ، ألا ترين أنك لو مثلت هذه المهزلة . ولو كنت أبرع امرأة في الحساب والتدبير ، وأشد النساء غدرا ، فلن تستطيعي أن تحفرى بين جيروم وبيني هوة لا سبيل إلى اجتيازها . . .

آريان : أنا أرفض أن احفر بينكما هذه الهوة . كل شيء يتوقف عليك يا جيروم ، فيوليت أفضل مني ، وهي أصدق

منى ، انها امرأة ، ولها طفلة ، وسيكون لها أطفال آخرون . . أما أنا فلم . . . (لاتستطيع مواصلةالحديث) فلم أعد موجودة . (تنتفض بالبكاء . يذهب جيروم إليها ، ويجلس إلى جوارها ، يتناول يدها ، ويلثمها .)

فيوليت : (واقفة) إذا كنتِ قد أردت حقا أن تلعبي هذه اللعبة . . ولكن لماذا أردتها ؟ لم تكن هناك غير وسيلة . وسيلة واحدة : هي أن تظهرى بمظهر الغيور ، المتزمتة ، التافهة ، أىْ باختصار أن تعامليني بوصفي غريمة . وما كان من الممكن أن ترفضي ذلك دون اللجوء إلى الغش ، كان زهرك مغشوشا . . أوه ! ولكنى احتفظ لك يا آريان بعرفان عميق للجميل . لقد علمتنى مالم يكن من الممكن أن اكتشفه بنفسى أبدا — قيمة الاستخفاف وفضيلته . . أن أفهم أن الحقيقة والجمال لا يرتبطان فيما بينهما بأى ارتباط ، ولا وجود لفن انسانى يمكن أن يُوَفّق بينهما . . . أجل ، هذه هى المرحلة الأولى . . . والمبلغ التى دفعت السيدة ديلاند إلي اعطائه لى ، سيرد إليك في أقصر مهلة ممكنة بمعرفة صديقى السيد باسيينى الذى يدفع نفقات إقامتنا في « بوسولى » . . .

جيروم : إذن ، فأنت تعترفين . . .

فيوليت : (بلهجة مغايرة) وداعا ، ياآريان . . أوه ! أناأعرف . . . ربما كنت مسخا لا يعرف سوى الظلم والجحود . . . ومادامت الصلاة قد وهبت لك ، . . . وكل ما يصحبها . . . فصلى أحيانا من أجلى — ومن أجل

مونيك ، ولا سيما من أجل مونيك . لأنها إذا كانت لا تشفى ، إذن . . . إذن . . . لا أدرى . . . (تتناول راحة آريان ، وتلثمها في تشنج ، وتخرج) .

(صمت طويل)

آريان : (بعد أن نظرت إلى جيروم) رباه ! كل شيء يجرى وكأنها على صواب ، إنك لم تلق بنظرة إليها . . جيروم ألا قلب لك ؟ أترانى قتلت قلبك أيضا ؟ . . . والآن ، لم يعد حتى الموت مسموحا به لى . . . المريضة التى تدفن كل ما يحيط بها والتى تكتب ، التى تكتب . . . كلاريس ! كلاريس ! (تفتح الباب قليلا .)

كلاريس : كنت خائفة ، ولم أكن أريد الازعاج ، هل رحلت تلك السيدة ؟

آريان : أجل ، أجل ، وفي أول ساعة من صباح غد يجب إرسال برقية إلى أولئك السادة . . .

كلاريس : بأنك ترفضين .


آريان : بأننى أقبل ، وبغاية الامتنان ! . . . كلاريس ، نشر ما قررت نشره بعد الوفاة ، قبل حلوثها ، فلتتذكر جيدا . . . قبل حلوثها . . .

ستار

يوليو — سبتمبر ١٩٣٥ .

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
١ ـ مقدمة بقلم المترجم ... ... لمسرحية طريق القمة	٥
٢ ـ شخصيات المسرحية	١٥
٣ ـ الفصل الاول	١٧
٤ ـ انثاني	٦٥
٥ ـ الثالث	١١٥
٦ ـ الرابع	١٦١


دار الشؤون الثقافية العامة
وزارة الثقافة والاعلام
السعر: دينار